

فقه أسماء الله الحسنى في ضوء النظم الكلي للقرآن الكريم سورة الشعراء نموذجاً

إعداد

د. توفيق بن علي بن مراد زبادي

الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن
أكاديمية بصيرة العلمية الدعوية - والباحث في مركز تفسير (سابقاً)

- من مواليد عام ١٩٦٧م - دمياط - مصر.
- دبلوم التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم درمان الإسلامية- السودان- ٢٠٠٤م.
- نال شهادة الماجستير من قسم التفسير وعلوم القرآن - كلية أصول الدين- جامعة أم درمان الإسلامية عام ٢٠٠٦م، بأطروحة: "منهج القرآن في مدح القلة وذم الكثرة". كما نال شهادة الدكتوراه قسم التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين- جامعة أم درمان الإسلامية عام ٢٠٠٨م، بأطروحة "الإصلاح والإفساد في ضوء القرآن الكريم".
- من أعماله المنشورة: أفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها، مناسبة القصص لمقاصد السور، بناء السورة القرآنية على آثار أسماء الله الحسنى وصفاته العليا سورة الملك نموذجاً، سد الذرائع استدلالاً وتطبيقاً من خلال تفسير الطاهر ابن عاشور.
- البريد الشبكي: towfeekali@hotmail.com

الملخص

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى بيان فكرة جديدة لم يتناولها أحد - فيما أعلم - بدراسة مستقلة وهي (فقه أسماء الله الحسنى في ضوء النظم الكلي للسورة)، وقد قمت بدراسة تطبيقية على سورة الشعراء، وكان الغرض من البحث بيان أن الله ﷻ عرّف نفسه لعباده بآثار أسمائه الحسنى على مستوى النظم الكلي للسورة من بدايتها إلى نهايتها؛ ليعبدوه حق العبادة عن علم ويقين.

منهج الدراسة: تقتضي طبيعة البحث تعدد المناهج؛ ولذلك فإن الباحث جمع في هذه الدراسة بين الاستقراء والتحليل للنصوص؛ أما المنهج الاستقرائي: ففي تتبع الآيات القرآنية في السورة المتعلقة بموضوع البحث. أما المنهج التحليلي: وذلك بتحليل النصوص المستقراة، والوقوف على المعاني الدقيقة التي تحملها ولها علاقة وثيقة بموضوع البحث.

أهم النتائج: توصل الباحث إلى عدة نتائج من أهمها:

- ١- أن القرآن الكريم عرّف العباد بآثار أسماء الله الحسنى على مستوى السورة القرآنية، وعلى مستوى القرآن كله؛ ليعرفوه حق المعرفة، وليعبدوه حق العبادة.
 - ٢- تكرار أسماء الله ﷻ في السورة القرآنية؛ يُنبئ بأن آثار هذه الأسماء هو الروح المهيمن على السورة، وموضوعاتها.
 - ٣- التناسق بين مقاصد السورة مع بعضها في عقد واحد مبهٍر.
 - ٤- كل سورة لها أسلوبها الخاص الشيق الذي يتناسب مع طبيعة النفس البشرية في عرض آثار أسماء الله ﷻ.
 - ٥- كل سورة وخاصة الطويلة تحتوي على مقدمة، ومقاصد، وخاتمة، بينهم تأخ وتعاضد، وتلاحم في صورة من التناسق والتناسب مبهٍر.
- الكلمات المفتاحية: فقه، السورة، آثار، أسماء الله، نظم.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد، فإن فهم معاني أسماء الله ﷻ وسيلةً إلى معاملته بثمراتها؛ من الخوف والرجاء، والمهابة والمحبة والتوكل، وغير ذلك من ثمرات معرفة الأسماء والصفات؛ لأنه مَنْ كان بما له ﷻ من الأسماء والصفات أعلم وأعرف؛ كان بالله أعلم وأعرف.

وإن لكل اسم من أسماء الله ﷻ أسراراً عظيمة، ومعاني بديعة، يُطلع الله ما شاء منها على مَنْ شاء من عباده؛ بعد بذله للجهد المطلوب منه في تدبره وتأمله في سياقات وروده، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وإن من أعظم مجالات التدبر تدبر أسمائه وصفاته في نظمها القرآني المعجز؛ لأن فيوض المعاني وآثار هذه الأسماء لا تظهر للمتدبر إلا إذا نظر في مجموع نظم الكلام على مستوى السورة؛ لأن الله ﷻ تعرّف إلى خلقه بأفعاله، وأسمائه وصفاته، وما أحدثه في أوليائه وأعدائه، من كرامته وإنعامه على الأولياء، وإهانته وإشقاؤه للأعداء، ومن إجابته دعواتهم، وقضائه حوائجهم، وتفريج كرباتهم، وكشف بلائهم، وتصريفهم تحت أقداره كيف يشاء، وتقليبهم في أنواع الخير والشر؛ فكان في ذلك أعظم دليل لهم على أنه ربهم ومليكهم، وأنه الله الذي لا إله إلا هو، وأنه العزيز الرحيم، وأنه الإله الحق وكل ما سواه باطل؛ فتظاهرت أدلة ربوبيته وتوحيده في الأرض، وتنوّعت، وقامت من كل جانب؛ فعرفه الموقفون من عباده، وأقرّوا بتوحيده إيماناً وإذعاناً، وجحدته المخذولون من خليقته، وأشركوا به ظلماً وكفراناً؛ فهلك من هلك عن بينةٍ وحى من حي عن بينةٍ.

وإن لتوارد أسماء الله الحسنى وصفاته العليا في سورة ما على نحو خاص مزيد عناية بملاحظة وتدبر اعتلاق معانيها بسياق ومقصود السورة التي فيها؛ فالله **عَلَّامٌ** لا يقيم اسمًا من أسمائه الحسنى إلا في سياقه؛ ليدل على ما يترادف من فيوض المعاني على ذلك السياق على مستوى السورة كلها.

والمطلع على ما كُتِبَ من كتب وبحوث تناولت شرح أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم؛ وجد أن الكاتب والباحث اقتصر على أثر الأسماء الحسنى على مستوى الآية، وأنها تُحْتَمُّ بأسمائه الحسنى المناسبة لمضمون الآية، وهذا جهد مشكور، وصاحبه مأجور، ومجال من مجالات التدبر ذات النفع الكثير.

وإن من تمام تحقق نواحي التدبر لأسماء الله الحسنى في السورة النظر الكلي لسياقها؛ لأنه هو السبيل لفهم الخيط الناظم لمعانيها، وانكشاف فيضها المدرار؛ لأن الله يُجِلي لعباده في كتابه أثر أسمائه الحسنى في سياق السورة؛ حتى يشعر المتأمل أن السورة بُنِيَتْ عليه، وأقامت على معانيه بنيانها.

وكم يجلب النظر القاصر في أثر أسماء الله على مستوى الآية لصاحبه من جور عن القصد، وكم ينأى به عن أروع أنواع الجمال في النظم.

ولم يتطرق أحدٌ -حسب علمي- على تناول هذا المقصد؛ فعزمت على خوض هذا الغمار مستعيناً بالله، داعياً إياه بالتوفيق والسداد، ومسترشداً بما أشار إليه أئمتنا الأعلام -نَصَرَ اللهُ وجوهمهم- في كتبهم من منشور كلامهم حول هذا الغرض. والله نسأل التوفيق والسداد.

الدراسات السابقة:

تكلمت كُتِبَ وبحوث عن فقه أسماء الله الحسنى وشرح أسرارها، وعن ختم الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنى وأسرار وحكم ذلك، ولم أجد من تناول موضوع بحثي بدراسة مستقلة -حسب علمي واطلاعي.

ونختار من الدراسات دراسات وثيقتنا الصلة بدراستنا:

الدراسة الأولى: اقتران اسم "العزیز" بالرحيم والغفور والغفار في القرآن دلالة ومعنى، د. عبد الله بن عبد العزيز الدغيشر، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا.

حيث خصص فصلاً في بحثه لدراسة دلالة سياق اقتران اسم العزیز بالرحيم حسب ترتيب سور القرآن الكريم، واشتمل الفصل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: دلالات سياق اقتران اسم الله العزیز بالرحيم في سورة الشعراء.

المبحث الثاني: دلالات سياق اقتران اسم الله العزیز بالرحيم في سورة الروم.

المبحث الثالث: دلالات سياق اقتران اسم الله العزیز بالرحيم في سورة السجدة.

المبحث الرابع: دلالات سياق اقتران اسم الله العزیز بالرحيم في سورة يس.

المبحث الخامس: دلالات سياق اقتران اسم الله العزیز بالرحيم في سورة الدخان.

واستعرض في هذه المباحث أقوال المفسرين حول ختم الآيات بالاسمين الكريمين، ورجح بينها.

وبين هذه الدراسة ودراستي نقطة اتفاق حيث تعرضت لتناول ختم الآيات في السور التي ذكر فيها الاسمين الكريمين، ونقطة افتراق وهو أن دراستي تناولت سورة الشعراء كاملة وأثار الاسمين الكريمين على النظم الكلي للسورة.

الدراسة الثانية: التكرار وأثره في التفسير دراسة تطبيقية على سورة الشعراء، للباحثة: حليلة طواهرية، جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة العلوم الإسلامية، السنة الجامعية، ٢٠١٤-٢٠١٥م.

وتناولت الباحثة في المبحث الرابع من رسالتها: تكرار الفاصلة القرآنية في السورة وأثرها في التفسير.

وبين هذه الدراسة ودراستي نقطة اتفاق حيث تعرضت لتناول التكرار وفائدته بصورة مختصرة لتناسبه مع موضوعي، ونقطة افتراق وهو أن دراستي تناولت سورة الشعراء وآثار الاسمين الكريمين على النظم الكلي للسورة.

ولا شك أنني سأستفيد من الدراستين.

هيكل البحث:

كانت خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة: وتحدثت فيها عن مشكلة البحث، وأهداف البحث، وأسباب اختيار الموضوع، وأهمية الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

ويتكون البحث من مبحثين:

المبحث الأول: الدراسة التأصيلية، ويتكون من:

المطلب الأول: وحدة بناء السورة.

المطلب الثاني: مقاصد تدبر آثار أسماء الله الحسنى وصفاته العُليا.

المطلب الثالث: منهج البحث في فقه أسماء الله الحسنى في ضوء النظم الكلي للسورة.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية سورة الشعراء نموذجاً.

المطلب الأول: المقدمة: بيان عظمة القرآن وتسلية الرسول ﷺ.

المطلب الثاني: تسلية النبي ﷺ من خلال قصص الرسل في السورة

القصة الأولى: قصة موسى عليه السلام وفرعون.

القصة الثانية: قصة إبراهيم عليه السلام.

القصة الثالثة: قصة نوح عليه السلام.

القصة الرابعة: قصة هود عليه السلام.

القصة الخامسة: قصة صالح عليه السلام.

القصة السادسة: قصة لوط عليه السلام.

القصة السابعة: قصة شعيب عليه السلام.

المطلب الثالث: الخاتمة: حكمة أمر رسول صلى الله عليه وسلم بالتوكل على العزيز الرحيم.

المطلب الرابع: استنباط الخيط الناظم بين مقدمة السورة وقصصها وخاتمها

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

الفهارس.



المبحث الأول الدراسة التأصيلية

المطلب الأول: وحدة بناء السورة.

تحدث علماءنا -نصر الله وجوههم- بأن كل سورة بُنيت على مقصد واحد يُدار عليه أولها وآخرها، ويُستدلُّ عليه فيها؛ فترتَّب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليلٍ استدَلَّ عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلمَّ جرًّا، فإذا وصل الأمر إلى غايته؛ خُتِمَ بها منه ابتداءً، ثم انعطف الكلام وعاد النظر عليه على نهج آخر بديع، ومَرَّ في غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة النَّضيرة العالِيَّة، والدَّوْحة البهيجة الأنيقة الحَالِيَّة المزيَّنة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدرِّ، وأفنانها منعطفةً إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكلُّ دائرة منها لها شعبة متصلة بها قبلها، وشعبة ملتحمة بها بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كلُّ سورةٍ دائرة كبرى مشتملة على دوائر الآيات الغرِّ البديعة النظم العجيبة الضَّمِّ بِلينٍ تعاطف أفنائها، وحسن تواصلٍ ثمارها وأفنائها^(١).

فمن مقتضيات هذا أن «مَنْ حَقَّقَ المقصودَ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ؛ عرف تناسبَ آياتها، وقصصها، وجميع أجزائها»^(٢).

ولما كان لكل سورة مقصد، أو غرض تام؛ وقع بها التحدي، قال ابن عاشور(ت: ١٣٩٣) رَحِمَهُ اللهُ «وإنما كان التحدي بسورة، ولم يكن بمقدار سورة من آيات القرآن؛ لأن من جملة وجوه الإعجاز أمورًا لا تظهر خصائصها إلا بالنظر إلى كلام مستوفٍ في غرض من الأغراض؛ وإنما تنزل سور القرآن في أغراض

(١) مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ، للبقاعي: (١/١٤٩). بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق.

مقصودة؛ فلا غنى عن مراعاة الخصوصيات المناسبة لفواتح الكلام، وخواتمه بحسب الغرض، واستيفاء الغرض المسوق له الكلام، وصحة التقسيم، ونكت الإجمال والتفصيل، وأحكام الانتقال من فن إلى آخر من فنون الغرض، ومناسبات الاستطراد والاعتراض والخروج والرجوع، وفصل الجمل ووصلها، والإيجاز والإطناب، ونحو ذلك مما يرجع إلى نكت مجموع نظم الكلام، وتلك لا تظهر مطابقتها جلية إلا إذا تم الكلام، واستوفى الغرض حقه»^(١).

ومن أجل ذلك كان ضرورياً في البحث في بناء السورة القرآنية على آثار أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وغيرها؛ إحكام النظر في السورة كلها؛ بإحصاء أسماء الله وصفاته العليا، واستنباط آثارها من مجموع نظمها.

المطلب الثاني: مقاصد تدبر آثار أسماء الله الحسنى وصفاته العليا.

عرّف الله ﷻ نفسه لعباده من خلال آثار أسمائه الحسنى وصفاته العليا؛ لتحقيق مجموعة من المقاصد منها:

١. زيادة الإيمان واليقين:

«الفائدة العامة لذكر أسماء الله تعالى وصفاته وتكرارها في المواضع المختلفة؛ هي تذكير تالي القرآن وسامعه المرة بعد المرة بربه وخالقه، وما هو متصف به من صفات الكمال الذي يُثَمَّر له زيادة تعظيمه وحبه، والرجاء في رحمته وإحسانه، والخوف من عقابه، لمن أعرض عن هداية كتابه، أو خالف حكمته وسننه في خلقه، وهذا أعلى مقاصد القرآن، في إكمال الإيمان، وإعلاء شأن الإنسان»^(٢)، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته؛ ازداد إيمانه وقوي يقينه»^(٣).

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١/٣٣٧).

(٢) تفسير المنار، رشيد رضا (١١/٧٩).

(٣) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٤١.

٢. تعظيم الله وتقديسه:

«أعظم علوم القرآن تحت أسماء الله **تَعَبُّدًا** وصفاته؛ إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً لا ثقة بأفهامهم، ولم يعثروا على أغوارها، وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها؛ فليفتهم التلي منها صفات الله **تَعَبُّدًا** إذا الفعل يدل على الفاعل؛ فتدل شواهد عظمته على عظمته؛ فينبغي أن يشهد في العقل الفاعل دون الفعل، فمن عرف الحق رآه في كل شيء، إذ كل شيء فهو منه وإليه وبه وله فهو الكل على التحقيق، ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه، ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل، وأن كل شيء هالك إلا وجهه»^(١).

٣. حب الله **تَعَبُّدًا**:

من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ أحبه لا محالة^(٢).

٤. الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين:

الله سبحانه أقام الشواهد عليه، وملاً بها كتابه، وهدى عباده إلى النظر فيها والاستدلال بها، ولكن العارف إذا حصل له منها الدلالة، ووصل منها إلى اليقين؛ انطوى حكمها عن شهوده، وسافر قلبه منها إلى المطلوب المدلول عليه بها، ورآها كلها أثراً من آثار أسمائه وصفاته وأفعاله، المشهود المدلول عليه بها معاينة القلب والبصيرة للصانع إذا عاين صنعته، فكأنه يرى الباني وهو يبني ما شاهده من البناء المحكم المتقن؛ لأن الشواهد والأدلة تبطل ويبطل حكمها^(٣).

٥. الإقرار بالتوحيد إيماناً وإذعائاً:

أظهر الله لخلقه من آثار أسمائه وجريان أحكامها عليهم ما اقتضته حكمته ورحمته وعلمه، وسرها أيضاً أنه تعرف إلى خلقه بأفعاله وأسمائه وصفاته وما أحدثه

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (١/٢٨٣).

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم (٣/١٨).

(٣) المرجع السابق: (٣/٢٨٣).

في أوليائه وأعدائه من كرامته وإنعامه على الأولياء، وإهانته وإشiquائه للأعداء، ومن إجابته دعواتهم، وقضائه حوائجهم، وتفريج كرباتهم، وكشف بلائهم، وتصريفهم تحت أقداره كيف يشاء، وتقليبهم في أنواع الخير والشر؛ فكان في ذلك أعظم دليل لهم على أنه ربهم ومليكمهم، وأنه الله الذي لا إله الا هو، وأنه العليم الحكيم السميع البصير، وأنه الاله الحق وكل ما سواه باطل؛ فتظاهرت أدلة ربوبيته وتوحيده في الأرض وتنوعت وقامت من كل جانب؛ فعرفه الموفقون من عباده وأقروا بتوحيده إيماناً وإذعاناً، وجحد المخذولون على خليقته وأشركوا به ظلماً وكفراناً؛ فهلك من هلك عن بينة وحيي من حي عن بينة والله سميع عليم (١).

٦. بيان أن اسم (الله) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى:

اسم (الله) العَلَم دال على معاني أسمائه بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله، واسم الله دال على كونه مألوها معبوداً، تؤله الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً، وفرعاً إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله، إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعّال لما يريد، ولا حكيم في أفعاله. وصفات الجلال والجمال: أخص باسم الله (٢).

٧. بيان أن تنزلات خطاب القرآن بحسب أسماء الله:

اعلم أن خطاب الله يرد بيانه بحسب أسمائه، ويجمعها جوامع، أظهرها ما ترى آياته، وهو اسمه "المَلِك" وما يتفصل إليه من الأسماء المقيمة لأمر الحكم، والقضاء، والجزاء، نحو: "العَزِيزُ الْحَكِيمُ" الذي تختم به آيات الأحكام: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ [النَّاسِ: ٣٨].

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١/ ١٠).

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم (١/ ٥٨).

فهي تنكيل من الله رادع. والردع عن ارتكاب الجريمة؛ رحمة بمن تحدّثه نفسه بها؛ لأنه يكفه عنها. ورحمة بالجماعة كلها؛ لأنه يوفر لها الطمأنينة. ولما عَزَّ وحكم؛ قطع يد السارق؛ جزاء واستصلاحاً، وليس انتقاماً. واسمه "الرحمن الرحيم"، وما يتفصل من الأسماء، من معنى الرحمة المنبئة عن الصفح والمغفرة، الذي تختم به آيات الرحمة: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٣]، «فمن تظن لذلك؛ استوضح من التفصيل الختم، واستشرح من الختم التفصيل»^(١).

٨. معرفة مقتضى العبودية لأسمائه وصفاته:

فمعرفة العبد بجلال الله وعظمته وعزّه؛ ثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعاً من العبودية الظاهرة هي موجباتها، وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى؛ يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية؛ فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها ارتباط الخلق بها^(٢).

فالله سبحانه وتعالى من حبه لعباده ورحمته بهم؛ عرفهم بنفسه؛ ليحسنوا في عبادته، وينالوا برحمته جنته التي أعدها لهم؛ ويجتنبوا غضبه وسخطه.

المطلب الثالث: منهج البحث في فقه أسماء الله الحسنى في ضوء النظم الكلي للسورة. لتناول بناء السورة على آثار أسماء الله الحسنى وصفاته لا بد من اتباع خطوات منهجية علمية؛ ليؤتي العمل ثماره، وتكون الثمار المتوقعة؛ مكافئة للجهد المبذول.

ونذكر فيما يلي هذه الخطوات:

أولاً: التقديم للسورة بتمهيد يُعرِّف فيه بأمور تتعلق بالسورة من ذكر سبب

(١) تراث الحراي المراكشي: ص ٣٨.

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (٢/ ٩٠).

النزول، أو المرحلة التي نزلت فيها السورة: مكية متقدمة، أو متوسطة، أو متأخرة، مدنية متقدمة أو متأخرة، وما ورد فيها من أحاديث صحيحة؛ تحدد أسماءها، أو بعض خصائصها أو فضائلها.

ثانياً: استقراء أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وضماؤها، والإسناد إليها في السورة، والتأمل في أكثرها وروداً، وذلك بعد قراءة تأملية متأنية لآيات السورة كلها.

ثالثاً: التعريف بأسماء الله الحسنى الأكثر وروداً في السورة ومادتها، واستقراء معانيها من كتب اللغة وكتب التفسير؛ لأن فهم هذه المعاني يُعين على فهم مجموع نظم الكلام لآثار أسماء الله في السورة.

رابعاً: استنباط مقتضى العبودية للأسماء والصفات الواردة في سياق السورة؛ لأن لكل اسم وصفة من صفاته سبحانه؛ «عبودية خاصة هي موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها، فعلم العبد بسمعه تعالى وبصره، وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور؛ يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضى الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه؛ فيثمر له ذلك الحياء باطنياً، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفة العبد بجلال الله وعظمته وعِزِّه؛ تثمر له الخضوع، والاستكانة، والمحبة»^(١).

خامساً: التعرف على المقصد الأساسي في السورة، والمحور الذي تدور حوله، ويكون ذلك من خلال طرق الكشف عن المقصد مثل: دلالة الاسم، أو الموضوعات المطروحة في السورة، أو أخذاً من المرحلة التي نزلت فيها، أو تكرار اسم الله منفرداً، أو مقترناً، أو غير ذلك.

سادساً: تقسيم السورة -وبخاصة الطويلة- إلى مقاصد تتحدث آياتها عن

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (٢/٩٠).

عنصر من عناصر المقصد الأساسي، أو مجال من مجالاته، واستنباط الهدايات القرآنية منها، وذكر المناسبات بينها.

سابعاً: ربط هذه المقاصد، وما يستنبط من هدايات من كل منها بالمقصد الأساسي للسورة؛ واستنباط الحيط الناظم لها، بقصد إظهار هذا المقاصد وكأنها حبات من عقد اللؤلؤ انتظمت في خيطها؛ فزاد جمالها بانتظامها وتناسقها مع بعضها، أو كأنها جداول صغيرة تمد المجرى الأساسي للنهر أو الشيطان الملتفة حول جذع الدوحة، تقوي أصلها، وتدعم ساقها، وتآزر متنها؛ لتستوي على سوقها، وتعجب الناظرين فيها.



المبحث الثاني

الدراسة التطبيقية: الخطوات المنهجية لتناول

(فقه أسماء الله الحسنى في ضوء النظم الكلي لسورة الشعراء)

الخطوة الأولى: التعريف بسورة الشعراء

أسماء السورة: سُميت بسورة الشعراء؛ لتفردها من بين سور القرآن بذكر كلمة (الشعراء) فيها^(١). وفي تسميتها بهذا الاسم دليل على أن القرآن يفارق الشعر^(٢)، وأن المنزّل عليه القرآن ليس من قبيل الشعراء؛ لاختلاف أحواله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أحوالهم، واختلاف أتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أتباع الشعراء.

ولئن كان الشعر قد جمع خصائص تثير الوجدان، وتمزج النفوس؛ فإن القرآن العظيم قد جمع أعظم ما في الشعر من هذه الخصائص، وفارقه بلاغة وتأثيراً، وإحكاماً وإعجازاً؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، فكان حقاً معجزة الرسول الخالدة، وآيته الشاهدة على صدق رسالته.

وتُسمى أيضاً سورة (طسم)؛ لافتتاحها بهذه الأحرف. وهي واحدة من ثلاث سور تُسمى بالطواسين. وقد امتازت هذه السورة بجمعها لقصص الرسل الذين نزلوا بشرائع سماوية قبل بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولعل ذلك هو وجه تسميتها بالجامعة في بعض الأقوال^(٣). والراجح أن تسمية السور -ومن ضمنها سورة الشعراء- قد ثبت بالتوقيف من الأحاديث والآثار^(٤).

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١٠٦/١٩).

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٣٤٤/٥).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٣١٠/١٩)، وينظر: التحرير والتنوير: (١٠٦/١٩).

(٤) ينظر: الإتيان في علوم القرآن: (٥٢/١)، وانظر: دراسات في علوم القرآن: ١٠٦، للدكتور فهد الرومي.

أما ترتيبها في عداد نزول السور فهي السابعة والأربعون، نزلت بعد سورة الواقعة وقبل سورة النمل^(١). وأما في ترتيب المصحف فتعد السادسة والعشرين، جاءت قبل النمل وبعد الفرقان.

مناسبتها لما قبلها:

لما عرّفت سورة الفرقان بشنيع مرتكب الكفرة المعاندين، وختمت بما ذكر من الوعيد؛ كان ذلك مظنة لإشفاقه ﷺ، وتأسفه على فوت إيمانهم؛ لما جُبل عليه من الرحمة والإشفاق؛ فافتتحت سورة الشعراء بتسليته ﷺ، وأنه سبحانه لو شاء؛ لأنزل عليهم آية تبهرهم، وتذل جبابرتهم؛ فقال سبحانه: ﴿لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنَّ نَشْأَ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٣-٤] ^(٢).

مناسبة أخرى:

لما أوعدهم في آخر سورة الفرقان بقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ [الْفُرْقَان: ٧٧]؛ أوعدهم في أول سورة الشعراء؛ فقال في إثر إخباره بتكذيبهم: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٦]، وتلك إشارة إلى آيات السورة، أو آيات القرآن^(٣). فسبب الوعيد التكذيب بآيات التنزيل.

مناسبة أخرى:

ذكر ﷺ اسم الرحمن في الموضعين؛ فقد ذكر عباد الرحمن نهاية سورة الفرقان: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴿٣١﴾﴾ [الْفُرْقَان: ٦٣]، وقال في الشعراء ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٥٠]؛ فما اكتسبه عباد الرحمن من صفات عظيمة هي من آثار رحمة الله بهم بإنزال القرآن، واتباعهم لهديه، وتمسكهم بأخلاقه.

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: (١٠٧/١٩).

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن، للغرناطي: ٢٦٢.

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير؛ لأبي حيان: (١٣٩/٨).

مناسبة مفتتحها لخاتمها:

بدأت بذكر الكتاب ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الشُّعْرَاءُ : ٢] ، وختمت به في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَلَمِينَ﴾ [الشُّعْرَاءُ : ١٩٢] (١) .
مناسبة أخرى:

ابتدأت وختمت ببيان عقوبة الكفار وذم المكذبين.

الخطوة الثانية: استقراء اسمي الله ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ .

جاء هذا الاقتران ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ في (١٣) موضعاً من القرآن الكريم منها (٩) مواضع في سورة الشعراء؛ وذلك بالتعقيب على قصة كل نبي مع قومه، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٨] وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ [الشُّعْرَاءُ : ٨ - ٩] ، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشُّعْرَاءُ : ٢١٧] ، وقوله تعالى: ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الرُّوم : ٥] ، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [السَّجْدَةَ : ٦] ، وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [يس : ٥] ، وقوله ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الدُّخَان : ٤٢] .

وورِّع هذا الاقتران في هذه السور بما يتناسب مع النظم القرآني للسورة، فالوحدة الموضوعية هي التي ورِّع على أساسها هذا الاقتران بين الاسمين الكريمين.

ففي سورة الشعراء لما كانت الآية هي بمثابة التعقيب على قصة كل نبي مع قومه؛ ناسب ختمها بهذين الاسمين الكريمين؛ وذلك أن ما حصل للمكذبين من عذاب وهلاك؛ إنما هو مقتضى عزته سبحانه وقوته وغلبته، وهو موجب اسمه سبحانه (العزیز) وما حصل من إنجاء للرسول وأتباعهم؛ إنما مقتضى رحمته ولطفه، وهو موجب اسمه سبحانه (الرحيم).

(١) مراد المطالع والمقاطع، للسيوطي: ٥٧.

اقتران الاسمين ودلالته:

اقتران هذين الاسمين الكريمين يدل على الكمال، والعدل، والحمد، والعزة والرحمة؛ وذلك ببيان أنه سبحانه مع كونه عزيزاً قوياً غالباً قاهراً لكل شيء؛ فلا ينبغي أن يكون رحيماً براً محسناً، ولا يعني كونه سبحانه رحيماً بعباده ألا يكون قوياً غالباً. فرحمته سبحانه ناشئة عن قدرة، وقوة، وعزة لا عن ضعف، وعجز، واجتماع الوصفين؛ يدل على صفة كمال ثالثة وهي: جريان عزته ﷻ على سنن الرحمة التي تستلزم إفاضة الخير والإحسان.

مناسبة الاسمين الكريمين لسياقهما:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ﷻ «ختم سبحانه قصص الأنبياء وأممهم في سورة الشعراء عقيب كل قصة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٦٨] ، فإن ما حكم به لرسله وأتباعهم، ولأعدائهم؛ صادر عن عزة ورحمة؛ فوضع الرحمة في محلها، وانتقم من أعدائه بعزته، ونجى رسله وأتباعهم برحمته»^(١).

ومن سورة الروم:

قال تعالى: ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الرُّوم: ٥].
ذكر ﷻ من أسمائه هذين الاسمين؛ لأنه «إن نصر الله المحب؛ فلعزته واستغناؤه عن العدو، ورحمته على المحب، وإن لم ينصر المحب؛ فلعزته واستغناؤه عن المحب، ورحمته في الآخرة؛ واصلة إليه»^(٢).

وهذا النصر محفوف بظلال القدرة القادرة التي تنشئه، وتظهره في عالم الواقع، وبظلال الرحمة التي تحقق به مصالح الناس.

(١) شفاء العليل، لابن القيم: ٢٠٠.

(٢) تفسير الرازي: (٨١/ ٢٥).

ومن سورة السجدة:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾ [السَّجْدَةُ: ٦].
مناسبة وصفه تعالى بـ (الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) عقب ما تقدم من آيات «أنه خلق الخلق بمحض قدرته بدون مُعين، فالعزة -وهي الاستغناء عن الغير- ظاهرة، وأنه خلقهم على أحوال فيها لطف بهم؛ فهو رحيم بهم فيما خلقهم؛ إذ جعل أمور حياتهم ملائمة لهم، فيها نعيم لهم، وجنبهم الآلام فيها»^(١).

ومن سورة يس:

قال تعالى: ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾﴾ [يس: ٥].
أضيف التنزيل إلى الله بعنوان صفتي (الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ)؛ «لأن ما اشتمل عليه القرآن لا يعدو أن يكون من آثار عزة الله تعالى، وهو ما فيه من حمل الناس على الحق، وسلوك طريق الهدى دون مصانعة ولا ضعف مع ما فيه من الإنذار والوعيد على العصيان والكفران.
وأن يكون من آثار رحمته ما في القرآن من نصب الأدلة، وتقريب البعيد، وكشف الحقائق للناظرين، مع ما فيه من البشارة للذين يكونون عند مرضاة الله تعالى»^(٢).

ومن صور عزته أنه حمى كتابه عن التغيير والتبديل، ورحم به عباده رحمة اتصلت بهم، حتى أوصلتهم إلى دار رحمته^(٣).

ومن سورة الدخان:

قال عَجَلٌ: ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [الدُّخَان: ٤٢].

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: (٢١٥/٢١).

(٢) المرجع السابق: (٣٤٧/٢٢).

(٣) ينظر: تفسير السعدي: ٦٩٢.

فهذا الذي ينتفع ويرتفع يوم الفصل برحمة الله تعالى التي أخذ بأسبابها، وسعى لها سعيها في الحياة الدنيا.

فتأمل كيف ناسبت هذه الجملة السياق التي وردت فيه، وتناسقت مع أخواتها من الآيات في السورة القرآنية.

الخطوة الثالثة: التعرف على المقصد الأساسي للسورة.

من مقاصد السورة:

قال البقاعي رَحِمَهُ اللهُ: «مقصودها أن هذا الكتاب يبين في نفسه بإعجازه أنه من عند الله، مُبَيَّن لكل ملتبس، ومن ذلك بيان آخر التي قبلها بتفصيله وتنزيله على أحوال الأمم وتمثيله، وتسكين أسفه رَحِمَهُ اللهُ خوفاً من أن يعم أمته الهوان بعدم الإيمان، وأن يشتد قصدهم لأتباعه بالأذى والعدوان بما تفهمه (سوف) من طول الزمان، بالإشارة إلى إهلاك من علم منه دوام العصيان، ورحمة من أراده للهداية والإحسان.

وتسميتها بالشعراء؛ أدل دليل على ذلك بما يفارق به القرآن الشعر من علو مقامه، واستقامة مناهجه وعز مرامه، وصدق وعده، ووعيده، وعدل تبشيره، وتهديده. وكذا تسميتها بالظلة^(١)، إشارة إلى أنه أعدل في بيانه، أو أدل في جميع شأنه، من المقادير التي دلت عليها قصة شعيب عليه السلام بالمكيال والميزان، وأحرق من الظلة لمن يبارزه بالعصيان^(٢).

وقال مؤلفو المختصر في تفسير القرآن الكريم:

من مقاصدها:

مواجهة المُصْرِّين على التكذيب بالرسول رَحِمَهُ اللهُ، الطاعنين برسالته، وتوهين شأنهم^(٣).

(١) لعله إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يُومِرُ الظُّلَّةَ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٨٩].

(٢) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي: (٢/١٤).

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم، نخبة من العلماء: ٣٦٧.

ويمكن أن يُصاغ المقصد:

بيان سنة الله في إنجاء المؤمنين، وإهلاك الكافرين؛ تسليّة للرسول الأمين ﷺ، وتطميناً للمؤمنين إلى يوم الدين.

الخطوة الرابعة: تقسيم السورة إلى مقاصد.

تنظم السورة في مقدمة تتضمن التنويه بعظمة القرآن، وعجز العرب عن معارضته، والتسليّة للرسول ﷺ عما يلاقيه من إغراض المشركين، وتكذيبهم له، والإشارة إلى بعض دلائل التوحيد.

ثم تعرض السورة الكريمة حلقات من قصص سبعة أنبياء كرام، فُصّل الحديث في بعضٍ منها كما في قصة موسى ﷺ مع فرعون، واختصر في بعضٍ آخر منها كما في قصة إبراهيم، ونوح، وهود، وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام^(١).

ويمثل القصص هيكل السورة الذي يشغل ثمانين ومائة آية من مجموع آيات السورة كلها. والسورة هي هذا القصص مع مقدمة وتعقيب، والقصص والمقدمة والتعقيب؛ تؤلف وحدة متكاملة متجانسة، تعبر عن موضوع السورة، وتبرزه في أساليب متنوعة، تلتقي عند هدف واحد، ومن ثم تعرض من كل قصة الحلقة، أو الحلقات التي تؤدي هذه الأغراض.

ويغلب على القصص كما يغلب على السورة كلها جو الإنذار والتخويف، والعذاب الذي يتبع التكذيب؛ استدلالاً على آثار اسم الله "العزیز، وصفته العزة"، ونجاة الأنبياء وأتباعهم حيث تتجلى رحمة الله.

ثم تأتي الخاتمة متضمنةً التنويه بالقرآن مرة أخرى، والتنزيه له، والتهديد والوعيد للظالمين المكذبين.

(١) ينظر: هامش التسهيل لعلوم التنزيل: (٣/١٥٣)، تحقيق رضا فرج.

والمقدمة والخاتمة تتمثل فيهما موضوعات السورة التي تعالجها، والمعاني التي تهدف إليها، والقصاص يُثبت هذه المعاني ويؤكد لها، ويصوّر عاقبة الكفر والتكذيب. وبتناول فيما يلي بالتفصيل نظام السورة:
المطلب الأول: بيان عظمة القرآن الكريم.
الآيات (١-٩):

تأمل في هذه الآيات التي جمع الله فيها بين أطهر نفس بشرية خلقها (نفس رسول ﷺ)، وهي تبذل كل طاقة مُدخّرة لنجاة أمته، وبين كتابه المسطور (القرآن) الهادي إلى كل خير وصلاح، وكتابه المنظور (الكون) الذي يكفي العبد فيه النظر في بدائع صنع الله، وإتقان تدبيره؛ ليندفع العبد لتوحيده، وإفراده بالعبادة. والعلاقة بينهم مطردة في القرآن، فإذا ذكر آياته المسموعة؛ ذكر آياته المشهودة، وذكر معهم النفس البشرية بنوعها الواعية لهذه الآيات، والغافلة عنها، ومصير كل منهما. فالنوع الأول كقوله في هذه السورة ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشُعْرَاء: ٥]، والثاني كقوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْتَبْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشُعْرَاء: ٧]، وذكر النفس البشرية المُعرضة عن التأمل في الآيات: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشُعْرَاء: ٥]. ومهدّت هذه المقدمة؛ لبيان أفعاله فيمن أعرض عن رحمته، وحارب عزته؛ بذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم.

فكانت هذه المقدمة كالديباجة للخطبة التي تبين غرض السورة.

آثار أسماء الله ﷻ في آيات المقدمة:

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ﴾ [الشُعْرَاء: ٥].

الرَّحْمَنُ فِي حَقِّ اللَّهِ:

الَّذِي رَحِمَ كَافَّةً خَلَقَهُ بِأَن خَلَقَهُمْ، وَأَوْسَعَ عَلَيْهِمْ فِي رِزْقِهِمْ^(١).

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج: ٢٩.

حكمة ذكر الرحمن في هذا السياق:

وذكر اسم الرحمن الذي أنكروه مع إحاطة نعمه بهم هنا دون وصف الرب كما في سورة الأنبياء ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:٢٠]؛ «لأن السياق هنا لتسليية النبي ﷺ على إعراض قومه؛ فكان في وصف مؤتي الذكر بالرحمن؛ تشنيع لحال المعرضين، وتعريض لغباوتهم أن يعرضوا عما هو رحمة لهم، فإذا كانوا لا يدركون صلاحهم؛ فلا تذهب نفسك حسرات على قوم أضاعوا نفعهم، وأنت قد أرشدتهم إليه، وذكّرتهم»^(١).

حظ الفريقين من اسم الله ﷻ الرحمن:

(١) حظ المؤمنين من اسم الله ﷻ الرحمن:

انتفع المؤمنون بالذكر الذي أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ؛ فرضي الله عنهم، ورضوا عنهم، ومَلَكَهُم الله السلطان على البلاد، ودانت لهم رقاب العباد بالعدل.

(٢) حظ الكافرين من اسم الله ﷻ "الرحمن":

من آثار رحمته على الكافرين، التوسعة عليهم في الرزق، وإرسال الرسل هداياتهم إلى الطريق المستقيم، وتدبير شؤون حياتهم.

(٣) حظ النبي ﷺ من اسم الرب ﷻ في الآيات:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ [الشعراء:٥٠].

معنى (الرب): قال ابن الأثير رَحْمَتَهُ: «يطلق (الرب) في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم»^(٢).

(الرب) في حق الله: هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم. وَأَخْصُ من هذا: تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم، وأخلاقهم؛ ولهذا أكثر دعائهم

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٩٢/١٩).

(٢) النهاية، لابن الأثير (١٧٩/٢).

له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه التربية الخاصة»^(١).

وهذا الخطاب لرسوله ﷺ من ربوبيته الخاصة به، «وَهِيَ رُبُوبِيَّةُ الْمُصْطَفِيِّ (بِصِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ) لِلْمُصْطَفَى (بِصِيغَةِ الْمَفْعُولِ) مِنْ بَيْنِ بَقِيَّةِ الْخَلْقِ»^(٢)، المتضمنة لكمال الرعاية والعناية، والنصرة والتأييد.

أثر اسميه العزيز الرحيم في الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهَوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٩].

«العزيز» القوي القادر على إبداع الآيات، وأخذ المكذبين بالعذاب.

«الرحيم» الذي يكشف عن آياته؛ فيؤمن بها من يهتدي قلبه، ويمهل المكذبين؛ فلا يعذبهم حتى يأتيهم نذير. وفي آيات الكون غنى ووفرة، ولكن رحمته تقتضي أن يبعث بالرسول للتبصير والتنوير، والتبشير والتحذير. وفي وصف الرحمة؛ «إيحاء إلى أنه يرحم رسله بتأييده ونصره»^(٣).

وإذا سأل سائل وقال: لماذا قدم العزيز على الرحيم؟

قال الرازي رَحِمَهُ اللهُ: إنما قدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم؛ لأنه لو لم يقدمه؛ لكان ربما قيل إنه رحمهم؛ لعجزه عن عقوبتهم؛ فأزال هذا الوهم بذكر العزيز وهو الغالب القاهر، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده، فإن الرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة؛ كانت أعظم وقعاً. والمراد أنهم مع كفرهم، وقدرة الله على أن يعجل عقابهم؛ لا يترك رحمتهم من خلق كل زوج كريم من النبات، ثم من إعطاء الصحة، والعقل، والهداية^(٤).

(١) تفسير السعدي (٥/٤٨٦).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١١/١٣١).

(٣) المرجع السابق: (١٩/١٠٢).

(٤) انظر: تفسير الرازي: (٢٤/٤٩٢).

حظ الفريقين من الاسمين الكريمين:

(١) حظ المؤمنين من اسمه العزيز:

✓ الكشف عن الآيات التي تكون سبباً في زيادة إيمانهم، والارتقاء من علم اليقين إلى عين اليقين.

✓ تأييدهم ونصرهم على أعدائهم.

(٢) حظ الكافرين من اسمه العزيز:

أخذهم بالعذاب؛ إذا استمروا على كفرهم، وعنادهم، وصددهم عن سبيل الله.

(٣) حظ المؤمنين من اسمه الرحيم:

✓ رعايتهم والعناية الكاملة بهم.

✓ توفيقهم لفعل الطاعات.

(٤) حظ الكافرين من اسمه الرحيم:

✓ إرسال الرسل للتبشير والإنذار.

✓ الإمهال وعدم المعالجة بالعقوبة؛ ليؤمن بعض منهم، أو من ذريّاتهم.

✓ رزقهم مما يخرج من الأرض بالرغم من كفرهم، وإمدادهم بالصحة، والعقل.

المطلب الثاني: تسلية النبي ﷺ من خلال ذكر قصص الرسل عليهم السلام.

هذه السورة الكريمة تعرض حلقات من قصص سبعة أنبياء كرام، فُصِّل الحديث في قصة موسى ﷺ مع فرعون، واختصر في بعضٍ آخر منها كما في قصة إبراهيم، ونوح، وهود، وصالح ولوط وشعيب ﷺ ويذكر لكل نبي إهلاكه لمكذبيهم والنجاة لهم ولأتباعهم، ثم يختم القصة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٨ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ٩ [الشعراء: ٨ - ٩]؛ فختم القصة باسمين من أسمائه تقتضيها تلك الصفة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ٩؛ فانتقم من أعدائه بِعَزَّتِهِ بما طيب به قلوب أوليائه، وَأَنْجَى رسله وأتباعهم برحمته.

حكمة ذكر قصص الأنبياء في السورة:

قال الزمخشري رحمته الله: «كل قصة من القصص المذكورة في هذه السورة كتزيل برأسه، وفيها من الاعتبار ما في غيرها؛ فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تحتّم بما اختتمت به صاحبته، ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وكلما زاد ترديده؛ كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم، وأبعد من النسيان؛ ولأن هذه القصص طرقت بها آذان وقرت عن الإنصات للحق؛ فكوّثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير؛ لعل ذلك يفتح أذناً، أو يفتق ذهنًا»^(١).

القصة الأولى: قصة موسى عليه السلام وفرعون.

وجه الشبه بين قصة فرعون وقريش:

ضُربَ المثل بهذه القصة في مكابرة قريش وعنادها وإعراضها عن دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكابرة فرعون وقومه، وإعراضهم عن دعوة موسى عليه السلام^(٢)؛ ولذلك جاء الابتداء بها؛ ليكون فيها تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم حيث إن ما حصل له مع مشركي قريش من الإعراض والمكابرة قد حصل لنبي الله موسى عليه السلام في دعوته لفرعون وقومه، «وقلّمّا تجد في الكتاب العزيز ورود تسليته صلى الله عليه وسلم إلا معقبة بقصص موسى عليه السلام وما كابد من بني إسرائيل وفرعون، وفي كل قصة منها إحراز ما لم تحرزه الأخرى من الفوائد، والمعاني، والأخبار»^(٣).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسلي نفسه، ويحث أمتّه على الصبر على الأذى بها حدث لموسى عليه السلام، روى الشيخان عن عبد الله رضي الله عنه، قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُجَيْنِ، آتَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنَا سَا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عَيْنَةَ مِثْلَ

(١) الكشف، للزمخشري: (٣/٣٣٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١٩/١١٨).

(٣) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي: (٤/١٤).

فقه أسماء الله الحسنى في ضوء النظم الكلي للسورة: سورة الشعراء نموذجاً د. توفيق بن علي زيادي

ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ
إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،
فَأْتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ
أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»^(١).

مناسبة هذه الحلقة من قصة موسى ﷺ لموضوع السورة:

هذه الحلقة من قصة موسى ﷺ اختصت بالجانب الذي يتحدث عن موسى
ودعوته لفرعون، وركزت على بيان عاقبة فرعون؛ ليكون فيها عظة وعبرة لمن
اعتبر. وذكر عاقبة المكذبين وما آل إليه مصيرهم يتناسب مع مقصود السورة وما
تهدف إليه من بيان كمال قدرة الله العزيز الرحيم.

الآيات: [١٠-٦٨]:

المقصد الأعظم لقصة موسى ﷺ مع فرعون: إثبات الصانع ورسالته؛ إذ كان
فرعون منكراً^(٢).

المتأمل في الآيات يلحظ أن موسى ﷺ حدد مطلباً رئيسياً من فرعون، ألا وهو
إخراج بني إسرائيل من عبودية فرعون إلى عبودية رب العالمين ﷻ.

مناسبة ذكر قصة موسى ﷺ لما قبلها:

لما اقتضى وصف العزة الإهلاك، ووصف الرحمة الإمهال؛ أتبع ذلك بذكر أخبار
الأمم، دلالة على الوصفين ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ معاً ترغيباً وترهيباً، ودلالة على أن
الرحمة سبقت الغضب، وإن قدم الوصف اللائق به؛ فلا يُعَدَّب إلا بعد البيان مع
طول الإمهال، ولما كان ذكر التسلية بموسى ﷺ أتم؛ لما له من القرب، والمشاركة

(١) رواه البخاري: كتاب فرض الخمس، باب: ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم من الخمس
ونحوه، (٩٥/٤)، رقم (٣١٥٠)، ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام،
(٧٣٩/٢)، (١٠٦٢).

(٢) النبوات، لابن تيمية: ص (١٨).

في الهجرة، والقصد إلى الأرض المقدسة بدأ به؛ ليكون في إقرارهم على ما يسمعون من أخبارهم؛ أعظم معجزة، وأتم دلالة.

أثر أسماء الله ﷻ في القصة وحظ المذكورين منها:

(١) حظ موسى وهارون عليهم السلام من اسم الله ﷻ (الرب):

لما أمر الله موسى ﷺ بالذهاب لدعوة فرعون وملئه، قال موسى ﷺ متضرعاً إلى الله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ [الشعراء: ١٢-١٥] سَلَّاهُ رَبُّهُ ﷻ وربط جأشه، وطمأنه بوعده بضمان كمال الحفظ والنصرة؛ فقال ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ (١٥)، «مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حصر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم؛ ليمدّ أولياءه، ويظهرهم على أعدائهم؛ مبالغة في الوعد بالإعانة» (١).

فحظ موسى وهارون -عليهما السلام- من الربوبية الخاصة، والمعية الخاصة: الحفظ، والرعاية، والإعانة، والتأييد، والنصرة؛ وهي حظ كل ولي، وعالم، وداعية لله ﷻ يحمل رسالته إلى العالمين.

وتأمل لما قال له أصحابه: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ (١٦) قال لهم: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (١٧)؛ وذلك كالمعنى مما توهموه، ثم قوى نفوسهم بأمرين:

أحدهما: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (١٧)، وهذا دلالة النصر، والتكفل بالمعونة.

والثاني: قوله: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ (١٧)، والهدى هو طريق النجاة والخلاص، وإذا دله على طريق نجاته وهلاك أعدائه؛ فقد بلغ النهاية في النصر» (٢).

واقصر موسى ﷺ على نفسه في قوله: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (١٧)؛ لأنهم لم

(١) تفسير أبي السعود: (٦/٢٣٧).

(٢) تفسير الرازي: (٢٤/٥٠٧).

يكونوا عالمين بما ضمن الله له من معية العناية، فإذا علموا ذلك؛ علموا أن هدايته تنفعهم؛ لأنه قائدهم والمرسل لفائدتهم.

ووجه اقتصاره على نفسه أيضاً أن طريق نجاتهم بعد أن أدركهم فرعون وجنده لا يحصل إلا بفعل يقطع دابر العدو، وهذا الفعل خارق للعادة؛ فلا يقع إلا على يد الرسول^(١).

وهذا من فقهه عليه السلام لأسماء الله وصفاته وآثارها.

(٢) حظ السحرة من اسم الله (الرب):

لما هددهم فرعون بعد إيمانهم بقوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٤٩ - ٥١].

وفي ردهم -رحمهم الله- على فرعون دلالة على رسوخ إيمانهم بالله ووعدته؛ لأنه عندما يرسخ الإيمان في القلب يشرق؛ فيستهين صاحبه ببأس الطغاة، وتنتصر فيه العقيدة على الحياة، ويحتقر الفناء الزائل إلى جوار الخلود المقيم.

وكان حظ السحرة من اسم الله تعالى (الرب): التثبيت على الإيمان، والثقة بوعد الرحمن، والانتصار على الطغيان، واتخاذهم الله شهداء، وجعل قصتهم سَلْوَىٰ لأهل الإيمان تُقرأ على مسامع المسلمين إلى يوم الدين.

(٣) وحظ جميع ما ذكروا من آثار: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: ربوبيته للعالم تتضمن

تصرفه فيه، وتدبيره له، ونفاذ أمره كل وقت فيه، وكونه معه كل ساعة في شأن، يخلق ويرزق؛ ويُميت ويُحيي؛ ويخفف ويرفع؛ ويُعطي ويمنع؛ ويُعزِّز ويُذلُّ، ويُصرِّف الأمور بمشيئته وإرادته^(٢).

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١٣٥/١٩).

(٢) الصواعق المرسله، لابن القيم: (١٢٢٣/٤).

(٤) حظ موسى ﷺ من آثار اسم الله "العزیز":

اعتز موسى ﷺ بالله العزیز؛ فنصره الله ﷻ على فرعون وملئه، وأكرمه بإيوان السحرة، وامرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وطائفة من الشباب على خوف من فرعون.

(٥) حظ فرعون من آثار اسم الله "العزیز":

تَعَزَّرَ فرعون بالسحرة؛ فخذله الله؛ وذلك أن الذين استنصر بهم، وطلب منهم أن يغلبوا، قد غلبوا وَخَضَعُوا وَأَمَّنُوا بموسى ﷺ في الساعة الراهنة، وسجدوا لله رب العالمين، الذي أرسل موسى وهارون بالحق، وبالمعجزة الباهرة، فَغَلِبَ فِرْعَوْنُ غَلْبًا لم يشاهد العالمُ مثله^(١).

ومن آثار اسم الله العزیز انتقامه من فرعون وملئه بإغراقهم في البحر؛ ليكونوا عبرة لمن يأتي بعدهم، وتطمين وتسلية للمؤمنين في كل عصر وحين أن الله ينتقم من أعدائه بما يطيّب به قلوب أوليائه.

(٦) حظ فرعون والملأ معه من آثار اسم الله "الرحيم":

أن الله الرحيم أرسل له رسولاً من أولي العزم من الرسل؛ ليلبغهم دعوته، وأن يسلك في دعوته أسلوب اللين، وأنه سبحانه أنذرهم بطشته على لسان رسوله، وأدر عليهم النعم ابتلاءً، وأمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة.

وأنه تعالى كان عزيزاً قادراً على أن يهلكهم، ثم إنه تعالى ما أهلكهم، بل أفاض عليهم أنواع رحمته؛ فدل ذلك على كمال رحمته، وسعة جوده وفضله^(٢).

(٧) حظ السحرة من اسم الله الرحيم:

ومن آثار رحمته بالسحرة أن قذف في قلوبهم الإيوان، وثبتهم عليه، واختارهم شهداء، وجعلهم أسوة يَتَّقِدِي بهم المؤمنون على مر العصور والأجيال.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٦/١٤١).

(٢) تفسير الرازي: (٢٤/٥٠٩).

(٨) حظ المؤمنين على مر الأجيال مما قصَّ الله ﷻ من قصة فرعون:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ :

والتأمل فيما حدث في البحر لفرعون؛ يجد آية عجيبة من الآيات العظام الدالة على عِزَّتِهِ وقدرته؛ لأن أحداً من البشر لا يقدر عليه، وعلى حكمته من حيث وقع ما كان مصلحة في الدين والدنيا، وعلى صدق موسى ﷺ من حيث كان معجزة له، وعلى اعتبار المعتبرين به أبداً؛ فيصير تحذيراً من الإقدام على مخالفة أمر الله تعالى وأمر رسوله، ويكون فيه اعتبار لمحمد ﷺ، فإنه قال عقيب ذلك ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠-٦٨]، وفي ذلك تسلية له ﷺ؛ فقد كان يَغْتَم بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات عليه؛ فنبهه الله تعالى بهذا الذكر على أن له أسوة بموسى ﷺ وغيره؛ فإن الذي ظهر على يد موسى ﷺ من هذه المعجزات العظام التي تبهر العقول؛ لم يمنع من أن أكثرهم كذبوه، وكفروا به مع مشاهدتهم لما شاهدوه في البحر وغيره؛ فكذلك أنت يا محمد لا تعجب من تكذيب أكثرهم لك، واصبر على إيذائهم؛ فلعلهم أن يصلحوا، ويكون في هذا الصبر تأكيد الحجة عليهم.

والقصة آية على عواقب تكذيب رسل الله، مع ما تتضمنه القصة من دلائل وحنانية الله، وتوحيد المؤمنين له.

ومضت قصة موسى ﷺ مع فرعون وملئه، وانتهت بنهاية فيها بشرى للمؤمنين المستضعفين المضطهدين، وفيها الدمار للظالمين المتجبرين الذين يشبه موقفهم موقف المشركين.

القصة الثانية: قصة إبراهيم ﷺ.

وجه الشبه بين قصة قوم إبراهيم ﷺ وقريش:

قوم إبراهيم ﷺ أشبهوا قريشاً في عبادتهم للأصنام، وفي تمسكهم بضلال آبائهم؛ فجاءت هذه القصة تضرب المثل؛ وذلك لشدة الشبه بين مشركي العرب

وقوم إبراهيم عليه السلام في أنه لم يُسلط عليهم عذاب في الدنيا مثلما سُلط على الأمم الكافرة^(١).

وكما أن دعوة إبراهيم عليه السلام تماثل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في كونها دعوة تقوم على إعمال دليل العقل^(٢).

مناسبة قصة إبراهيم عليه السلام لما قبلها من قصة موسى عليه السلام :

لما أتم الله صلى الله عليه وسلم قصة موسى عليه السلام مع فرعون بما فيها من التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم؛ أتبعها قصة إبراهيم عليه السلام، لأن في قصة موسى عليه السلام تعزُّزٌ بالبشر (فرعون)، وفي قصة إبراهيم عليه السلام تعزُّزٌ بالحجر (الأصنام).

الآيات: [٦٩-١٠٤]:

مناسبة هذه الحلقة من قصة إبراهيم عليه السلام لموضوع السورة:

ذكر الله صلى الله عليه وسلم قصة إبراهيم عليه السلام تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم؛ ليعرف صلى الله عليه وسلم أن حزن إبراهيم عليه السلام بهذا السبب؛ كان أشد من حزنه؛ لأن من عظيم المحنة على إبراهيم عليه السلام أن يرى أباه، وقومه في النار، وهو لا يتمكن من إنقاذهم إلا بقدر الدعاء والتنبيه.

حظ المذكورين في القصة من أثر أسماء الله:

(١) حظ إبراهيم عليه السلام من اسم الله (الرب):

عَرَفَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام رَبَّهُ؛ فَقَالَ: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: (١٤٨/١٩).

(٢) المرجع السابق: (١٤٩/١٩).

يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

[الشُّعْرَاءُ : ٨٤ - ٨٩]

تأمل في فقه إبراهيم عليه السلام لأسماء الله سبحانه الحسنى، وآثارها في حياته، ومستقبله: أتى إبراهيم عليه السلام في هذه الأوصاف التي وصف الله تعالى بها بالصفات التي المتصف بها يستحق الألوهية، وهي الأوصاف الفعلية التي تخص البشر، ومنها يجب أن يعلم صفات ربه الموجبة للافتقار إليه، والتعبد له؛ وأسند إبراهيم المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله تعالى، وهذا حسن الأدب في العبارة، ثم عدد نعم ربه عليه، وأوقف عليه السلام نفسه على الطمع في المغفرة، وهذا دليل على شدة خوفه مع منزلته وخلته ^(١).

ومن آثار اسمه (الرب):

أن الله أجاب دعوته، فكل ملة تتمسك به وتعظمه، والأمة المحمدية تُعظمه وتُصلي عليه في صلواتها.

ومن فقهه عليه السلام لأسماء الله تعالى:

- إقامته البرهان على إبطال الأوثان.
- نصب الدليل على أنه لا حق إلا الملك الجليل الديان.
- وترغيه وترهيبه.
- إرشاده إلى التزود في أيام المهلة.

(٢) حظ قوم إبراهيم عليه السلام من اسمه تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾:

حظهم من اسم الله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ﴾: إيقاع النعمة بهم؛ لمخالفتهم لرسوله ودعوته، وتعذيبهم في النار مع معبوداتهم ﴿فَكُفِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُنُ﴾ [الشُّعْرَاءُ : ٩٤]. وهكذا كل من تعزَّرَ بغير العزيز الرحيم ذلَّ.

(١) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية: (٤/ ٢٣٤).

وحظهم من اسم الله ﷻ ﴿الرَّحِيمُ﴾:

- إمهالهم، مع إدرار النعم، ودفع النقم، وإرسال الرسل، ونصب الشرائع؛ لبيان ما يرضاه لِيَتَّبِعَ، وما يسخطه لِيَتَّجِبَ.
- لم يهلكهم إلا بعد إقامة الحجة بإيضاح المحجة.

وحظ إبراهيم ﷺ من اسمه ﷻ العزيز:

أنه أعزّه ونصره على عدوه.

وحظ إبراهيم ﷺ من اسم الله ﷻ الرحيم:

أن الله ﷻ نَجَّاهُ مما أعدّه له أعداؤه من الإحراق في النيران.

القصة الثالثة: قصة نوح ﷺ.

وجه الشبه بين قوم نوح ﷺ وقريش:

الشبه الأول:

شابهت قريش قوم نوح ﷺ في عبادة الأصنام؛ فقوم نوح ﷺ هم أول من عبد الأصنام ثم عبدها العرب بعدهم (١).

الشبه الثاني: احتقار الفقراء:

فقريش طلبت من النبي ﷺ طرد الفقراء المؤمنين؛ ليؤمنوا به؛ فأمره الله بقوله ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَيْشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقوم نوح احتقروا الفقراء؛ فقالوا: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الشعراء: ١١١] ، أي المؤخرون في الحال والمال، والأحوال والأفعال؛ فيكون إيماننا بك سبباً لاستوائنا معهم، فلو طردتهم؛ لم يكن لنا عذر في التخلف عنك، ولا مانع من اتباعك.

(١) تفسير العزبن عبد السلام: (٣/٣٦٨).

وهذا يدل على «أن أهل الرئاسة والشرف يكونون أبعد عن الانقياد إلى عبادة الله وطاعته؛ لأن حبههم للرئاسة يمنعهم ذلك بخلاف المستضعفين»^(١).

وهذا الخُلُق دال على ما تنطوي عليه نفوسهم من داء الكِبَر، الذي من اتصف به رد الحق الواضح البين، واحتقر الناس، روى مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «...الْكِبَرُ بَطْرٌ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ»^(٢).

ومن نازع الله في كبريائه؛ عذبه، روى مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة قالاً: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعِرُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذْبَتُهُ»^(٣).

مناسبة القصة لقصة إبراهيم عليه السلام:

لما أتم سبحانه قصة الأب الأعظم الخليل إبراهيم عليه السلام؛ أتبعها -دلالة على وصفي العزة والرحمة- قصة الأب الثاني، مقدماً لها على غيرها؛ لما له من القدم في الزمان؛ إعلماً بأن البلاء قديم؛ ولأنها أدل على صفتي الرحمة والنقمة التي هي أثر العزة بطول الإملاء لهم على طول مدتهم، ثم تعميم النقمة مع كونهم جميع أهل الأرض.

الآيات [١٠٥-١٢٢]:

مناسبة قصة نوح عليه السلام لمقصد السورة:

اعلم أنه تعالى لما قصَّ على رسول الله ﷺ خبر موسى وإبراهيم -عليهما السلام-؛ تسلياً له فيما يلقاه من قومه؛ قصَّ عليه نبأ نوح عليه السلام؛ لشدة ما لاقاه من قومه، وطول مدة دعوته لهم.

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (١٣٠ / ١١).

(٢) رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، (١ / ٩٣)، (٩١).

(٣) المرجع السابق (٤ / ٢٠٢٣)، (٢٦٢٠).

حظ المذكورين في القصة من آثار أسماء الله:

حظ نوح عليه السلام من اسم الله (الرب):

لما هدده قومه قائلين: ﴿لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَنْوُحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]، أي المقتولين، ولا ينفعك أتباعك هؤلاء الضعفاء، وسمّوه باسمه جفاء، وقلة أدب؛ استغاث نوح عليه السلام بربه الرحيم به؛ ليظهر له ربه أثر اسم الله العزيز: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ [١١٧] فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجَّيْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٧ - ١١٨].

أي احكم بيني وبينهم حكماً يكون لي فيه فرج، وبه من الضيق مخرج؛ فأهلك المبطلين، وأنجز حثفهم، ونجني ومن معي في الدين من المؤمنين؛ مما تعذب به الكافرين، «وليس الغرض منه إخبار الله تعالى بتكذيب قومه له؛ لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم، ولكنه أراد إني لا أدعوك عليهم لما آذوني؛ وإنما أدعوك لأجلك، ولأجل دينك؛ ولأنهم كذبوني في وحيك، ورسالتك»^(١).

فاستجاب ربه دعاءه، فقال ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ الْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٩] أي: ومن آمن معه على ضعفهم وقتلهم.

وهذه سنتنا التي لا تتغير ولا تتحول: تنجية رسلنا وأتباعهم برحمتنا؛ إذا نزلت نقمنا بالمكذبين بهم من قومهم، وإهلاك المكذبين بالله بعزتنا، وكذلك سنتي فيك يا محمد وفي قومك.

حظ نوح عليه السلام من أسماء الله في القصة:

حظ نوح عليه السلام من اسمه العزيز:

أعز الله نوحاً عليه السلام بانتقامه من أعدائه، وهلاكهم أمام عينه؛ لتقر عينه بذلك.

(١) تفسير الرازي: (٢٤ / ٥٢١).

حظ نوح عليه السلام من اسمه الرحيم:

نجى الله نوحًا عليه السلام والمؤمنين معه من العذاب الذي أصاب قومه.

حظ قوم نوح عليه السلام من أسماء الله في القصة:

حظ قوم نوح عليه السلام من اسمه العزيز:

إهلاك قوم نوح عليه السلام بالعذاب الأليم؛ لردهم الحق الذي جاء به نوح عليه السلام، واحتقارهم الضعفاء.

حظ قوم نوح عليه السلام من اسمه الرحيم:

- أرسل لهم رسول من أولي العزم؛ لبيان ما يجب الله وما يكره، ونوع معهم أساليب الدعوة، ومكث فيهم تسعمائة وخمسين عامًا يدعوهم، وصبر عليهم.
- لم يهلكهم إلا بعد البيان الشافي، والإبلاغ الوافي.
- أدر عليهم النعم بالرغم من كفرهم.
- لم يعاجلهم بالعقوبة.

القصة الرابعة: قصة عاد قوم هود عليه السلام.

قوم عاد:

كانوا يسكنون الأحقاف، وهي: جبال الرمل قريباً من بلاد حضرموت من بلاد اليمن، وكان زمانهم بعد قوم نوح، وكانوا في غاية من قوة التركيب، والقوة والبطش الشديد، والطول المديد، والأرزاق الدارة، والأموال والجنات والعيون، والأبناء والزروع والثمار، وانشغلوا بأمور دنياهم، وإعراضاً عن الفكر في الآخرة، والعمل لها، والنظر في العاقبة، وإشراكاً مع الله في إلهيته، وانصرافاً عن عبادة الله وحده الذي خلقهم، وأعمرهم في الأرض، وزادهم قوة على الأمم؛ فانصرفت همتهم إلى التعاضم والتفاخر واللهو واللعب؛ فبعث الله إليهم رجلاً منهم رسولاً وبشيراً ونذيراً؛ فدعاهم إلى الله وحده، وحذرهم نقمته وعذابه في مخالفته؛ فلم

يستجيبوا له؛ فأهلكهم الله سبحانه وتعالى^(١).

مناسبة ذكر قوم عاد لمقصد السورة:

ذكر الله قوم عاد؛ لأنهم ممن يجاور العرب، ويرون آثارهم الدالة على قدرة الله وعزته باقية، يرونها بأعينهم؛ يذكرهم الله سبحانه وتعالى بها؛ ليتعظوا وينزجروا، وأنهم إذا استمروا على تكذيب رسول الله؛ فسوف يحل بهم ما حل بعاد جيرانهم، وفيها تسلية للرسول والمؤمنين أن الله انتقم من عاد التي اشتهرت بالقوة والبطش الشديد بعزته سبحانه، وأنجي رسوله والمؤمنين معه برحمته.

الآيات [الشعراء: ١٢٣-١٤٠]:

مناسبة القصة لما قبلها:

لما ذكر ربنا سبحانه وتعالى ما حصل لقوم نوح عليه السلام من إهلاك؛ سأل سائل؛ فقال: فما فعل من جاء بعدهم؟ هل اتعظ؟ أجيب بقوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾؛ تعداد لأخبار التسلية للرسول ﷺ وتكرير الموعدة للمكذبين.

آثار اسميه العزيز الرحيم في القصة:

تأمل قول الله فيهم: ﴿بَطَّشْتُمْ بَطَّشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠]، ومناسبته لاسميه الله العزيز الرحيم.

الجَبَّارُ (من البشر): الشَّدِيدُ فِي غَيْرِ الْحَقِّ.

و(الجبار) في حق الله ﷻ: يعني المَصْلِحُ أمور خلقه، المَصْرِفُهُمُ فيما فيه صلاحهم^(٢).

والجبار في صفة الرب سبحانه ترجع إلى ثلاثة معان: الملك، والقهر، والعلو^(٣).

والتأمل في هذه الحلقة من القصة؛ يجد أن قوم هود عليه السلام نازعوا الله في جبروته؛ واستعملوا نعمه عليهم في التعاضم، والتفاخر، واللهو، واللعب، وآدوا عبادته؛ فاستدعى ذلك ذكر اسمه العزيز، الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، ت: سلامة: (١٥٢/٦)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور: (١٦٥/١٩).

(٢) تفسير الطبري (٣٦/٢٨).

(٣) شفاء العليل، لابن القيم: (١/٣٦٥، ٣٦٦).

وهذا الوصف لقوم هود عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لم يأت إلا في هذه السورة؛ لذا جاءت هذه الحلقة من القصة لمناسبة تكرار اسميه العزيز الرحيم فيه لصفة (جبارين) في وصف قوم هود عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وإذا تأملت في الآيات وجدت: أن اتخاذ الأبنية العالية، يدل على حب العلو، واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء، والجبارية تدل على حب التفرد بالعلو؛ فيرجع الحاصل إلى أنهم أحبوا العلو، وبقاء العلو، والتفرد بالعلو، وهذه صفات الإلهية، وهي ممتعة الحصول للعبد؛ فدل ذلك على أن حب الدنيا قد استولى عليهم؛ بحيث استغرقوا فيه، وخرجوا عن حد العبودية، وحاموا حول ادعاء الربوبية... ثم قالوا: وما نحن بمعذبين: أظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من إنكار المعاد؛ فعند هذا بيّن الله تعالى أنه أهلكهم ^(١).

حظ المذكورين في القصة من آثار أسماء الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ :

(١) حظ عاد من اسم الله "العزيز":

أهلكهم الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بريح شديدة الهبوب ذات برد شديد جداً؛ فكان إهلاكهم من جنسهم؛ فإنهم كانوا أعتى شيء وأجبره، فسلب الله عليهم ما هو أعتى منهم، وأشد قوة، وفي ذلك تسلية للرسول عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وتطمين للمؤمنين.

(٢) حظ المؤمنين مع هود عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من اسم الله "العزيز":

أعزهم ربهم، وشفأ صدورهم بإهلاك عدوهم.

(٣) حظ عاد من اسم الله "الرحيم":

أنه بالرغم من كفرهم وعتوهم إلا أنه سبحانه لم يمنع عنهم رزقه وإنعامه: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ ۙ وَبَيْنَ ۙ وَجَنَّتِ وَعُيُونٍ ۙ﴾ [الشعراء: ١٣٣-١٣٤]، ومتعهم بالصحة في الأبدان، وأرسل لهم رسوله هود عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ ليدعوهم إلى الصراط المستقيم؛ لينجوا؛ لكنهم ما قبلوا رحمة الله بالانتفاع والامتثال.

(١) تفسير الرازي: (٥٢٣/٢٤).

(٤) حظ المؤمنين مع هود الكليل من اسم الله "الرحيم":

لما انتفع المؤمنون بما جاء به رسول الله هود الكليل من عند ربه؛ نجاهم معه برحمته، وأعزهم بقوته، وأهلك عدوهم؛ كما هي سنته سبحانه وتعالى.
القصة الخامسة: قصة ثمود.

قوم ثمود:

كانوا عرباً يسكنون مدينة الحجر، التي بين وادي القرى وبلاد الشام، ومساكنهم معروفة مشهورة، وقد كانوا بعد عاد وقبل الخليل، عليه السلام؛ فدعاهم نبيهم صالح الكليل إلى الله، وَعَلَيْكُمْ، أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة؛ فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه (١).

وقد حذر رسول الله وَعَلَيْكُمْ أصحابه مما حدث لهم عن جابر، قال: لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ وَعَلَيْكُمْ بِالْحِجْرِ، قَالَ: «لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ، وَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ صَالِحٍ، فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، فَعَقَرُوهَا، وَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا، وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا، فَعَقَرُوهَا، فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهَمَدَ اللَّهُ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ، إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ»، قِيلَ: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هُوَ أَبُو رِغَالٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ» (٢).

الآيات: [١٤١-١٥٩]:

مناسبة ذكر قوم ثمود لمقصد السورة:

جاء في هذه الحلقة من قصة صالح مع قومه وصف نعم الله عليهم ﴿أَتُشْرِكُونَ فِي مَا هَلْهَنَّا ءَامِنِينَ ﴿١٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعَيْونٍ ﴿١٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَٰضِمٌ ﴿١٨﴾ وَتَنَجِّثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بِيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الشعراء: ١٤٦ - ١٤٩].

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، ت: سلامة: (٦/١٥٥)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور: (١٩/١٦٥).

(٢) مسند أحمد، مسند جابر بن عبد الله وَعَلَيْكُمْ، (٢٢/٦٦)، (١٤١٦٠)، قال محققوه: حديث قوي، وهذا إسناد على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن عثمان بن خثيم، وأبي الزبير.

الْقَرَةُ: الْأَشْرُ^(١).

وتأمل كلمة ﴿قَلْرِهَيْن﴾ لم ترد في قصة صالح إلا في هذه السورة؛ لمناسبتها لاسميه العزيز الرحيم.

وقد حذّر الرسول من داء الأشر، عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَمِ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا دَاءُ الْأُمَمِ؟ قَالَ: «الْأَشْرُ وَالْبَطْرُ وَالتَّكَاثُرُ وَالتَّنَاجُشُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ»^(٢).

وَالْأَشْرُ: كفر النعمة. و(البطر) الطغيان عند النعمة، وشدة الفرح والمرح، وطول الغناء. و(التكاثر) التفاخر بالأموال والأولاد والزخارف. و(التشاحن) أي التعادي والتحاقد. و(التحاسد) أي تمنى زوال نعمة الغير. (حتى يكون البغي) أي مجاوزة الحد.

هذا تحذير من التنافس في الدنيا؛ لأنها أساس الآفات، ورأس الخطايا وأصل الفتن.

آثار اسمي الله صلى الله عليه وسلم العزيز الرحيم في القصة:

(١) حظ ثمود من اسم الله العزيز:

أهلك الله صلى الله عليه وسلم بعزته وقدرته قوم ثمود؛ لأنهم تمالؤوا على عقر الناقة التي جعلها الله آية لهم، وحضوا أحدهم على عقرها، وقد وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي بسنده، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا يَذْكُرُ النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَهَا فَقَالَ: ﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٢] «أَنْبَعَتْ لَهَا رَجُلٌ عَارِمٌ عَزِيزٌ مَبِيعٌ فِي رَهْطِهِ مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ»^(٣).

(١) مفردات غريب القرآن، للأصفهاني: ٦٣٤.

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم، حدیث عبد الله بن عمرو، (٤/١٨٥)، (٧٣١١)، قال الألباني:

صحیح، انظر صحیح الجامع: ٣٦٥٨، الصحیححة: ٦٨٠

(٣) سنن الترمذي: باب وَمَنْ سُوْرَةَ وَالشَّمْسِ وَصُحَّاهَا (٥/٤٤٠) (٣٣٤٣)، قال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ

صَحِيحٌ، وقال الألباني: صحیح، (الإرواء)، (٢٠٣١)، (غاية المرام)، (٢٥٠).

فكانت جريمته هذه والتي مالأه عليها قومه سبباً في إنزال الهلاك بهم؛ فاتاهم الله سبحانه وتعالى بعذاب الصيحة؛ فهي صيحة واحدة قطعت نياط قلوبهم، وتركتهم أجساداً هامدة؛ عبرة وعظة لمن خلفهم.

(٢) حظ صالح عليه السلام من اسم الله العزيز:

أعزَّ الله تعالى صالحاً عليه السلام بانتقامه ممن خالفوه وأذوه، ونصره عليهم هو والمؤمنين معه.

(٣) حظ ثمود من اسم الله الرحيم:

- أرسل لهم نبياً يدعوهم وينصح لهم، ويحثهم على العمل لاستبقاء النعم بأن يشكروا الله عليها.

- أعطاهم نعمة الأمن التي هي من أعظم النعم، ولا يُتَدَوَّقُ طَعْمُ النعم الأخرى إلا بها.

- جمع لهم بين نعمتي الأمن، ورفاهية العيش.

- أنعم عليهم بالحذق بنحت البيوت من الجبال بحيث تصير بالنحت كأنها مبنية.

- آتاهم بآية خارقة للعادة وهي "الناقة".

- لم يعاجلهم بالعقوبة.

(٤) حظ صالح عليه السلام من اسم الله الرحيم:

- نَجَّاه الله تعالى هو ومن آمن معه من العذاب العظيم الذي أصاب المكذبين من قومه.

- جعل قصته عبرة وعظة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وللمؤمنين إلى يوم الدين.

ومضت قصة صالح عليه السلام مع قومه، وتركت عبرة وعظمة لكل مؤمن يحمل رسالة الله للعالمين إلى يوم الدين.

القصة السادسة: قصة لوط عليه السلام.

قوم لوط:

كانوا يسكنون "سدوم"، وجعل الله مكانها بحيرة متنتنة خبيثة، وهي مشهورة

ببلاد الغور، متاخمة لجبال البيت المقدس، بينها وبين بلاد الكرك والشوبك؛

فدعاهم لوط عليه السلام إلى الله، وَجَعَلَ، أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم الخلائق إلى فعله، من إتيان الذكران دون الإناث^(١).
وقد جمع قوم لوط عليه السلام بين خطيئتين:
الخطيئة الأولى: الشرك بالله.

والخطيئة الثانية: وهي قيامهم بفاحشة لم يسبقها إليهم أحد من العالمين.

الآيات: [الشعراء: ١٦٠-١٧٥].

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦٥ - ١٦٦].

والمعنى: أتأتون الذكران مخالفين جميع العالمين من الأنواع التي فيها ذكور وإناث فإنها لا يوجد فيها ما يأتي الذكور؛ فهذا تنبيه على أن هذا الفعل الفظيع مخالف للفطرة لا يقع من الحيوان العجم؛ فهو عمل ابتدعوه ما فعله غيرهم^(٢).

مناسبة ذكر قوم لوط عليه السلام:

كانوا في طريق قريش قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصافات: ١٣٧ - ١٣٨].

فكانت العرب يمرون على دار قوم لوط في الصباح والمساء؛ ولا تستيقظ قلوبهم؛ ولا تستمع لحديث الديار الخاوية، ولا تخاف عاقبة كعاقبتها المخزية؛ لذا قال: أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم، وتعلمون أن للكافرين أمثالها؟

مخالفة قوم لوط لحكمة الله في امتداد الحياة:

لقد برأ الله الذكر والأنثى، وفطر كلا منهما على الميل إلى صاحبه؛ لتحقيق حكمته ومشيئته في امتداد الحياة عن طريق النسل، الذي يتم باجتماع الذكر

(١) تفسير ابن كثير: ت: سلامة: (١٥٧/٦).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١٧٩/١٩).

والأنثى؛ فكان هذا الميل طرفا من الناموس الكوني العام، الذي يجعل كل من في الكون، وكل ما في الكون في حالة تناسق وتعاون على إنفاذ المشيئة المدبرة لهذا الوجود.

منازعة قوم لوط لعزة الله في ملكه وسلطانه، وتعطيلهم لقانون الله في التناسل:

فهذه الفعلة الشنيعة التي فعلها قوم لوط محاربة لعزة الله التي تصوّر في الأرحام ما تشاء؛ لتحقيق حكمته في عمران الكون، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

فهو جَلَّالٌ ذو القدرة، والقوة على الصنع، والتصوير في أرحام النساء، وهذه الحكمة فيها رحمة بالجنسين؛ لأنها تُشبع الميل لهما؛ لتحقيق مراد الله وفق شريعة الله ومنهجه في الحياة.

وقد أخبر الله جَلَّالٌ في بداية السورة أن من آثار عزته ورحمته الإنبات من الأرض في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧-٨]، و«الكريم» الحسن المتقن، ويراد الأشياء التي بها قوام الأمور، والأغذية، والنباتات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، قال الشعبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس من نبات الأرض؛ فمن صار إلى الجنة؛ فهو كريم، ومن صار إلى النار فبضد ذلك»^(١).

وكان من أسباب إهلاكهم، وتطهير الأرض منهم أنهم أضافوا إلى الكفر بالله، إفساد الحياة بتعطيل قانون امتدادها بسنة الله في الزوجية الذي سنّه الله في كونه.

(١) حظ لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ والمؤمنين معه من اسمي الله العزيز الرحيم:

أوى لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ربه: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هُود: ٨٠]؛ فأواه ربه بعزته ورحمته وحفظه والمؤمنين معه وعصمهم وثبتهم، روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى لُوطٍ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ - يَعْنِي: اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَمَا بَعَثَ اللَّهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية: (٢٢٦/٤).

مِنْ قَوْمِهِ»^(١).

ولما هدده قومه بقولهم: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَه يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾^(١٦٧) [الشُّعْرَاءُ: ١٦٧]؛ لجأ إلى ربه العزيز الرحيم؛ ﴿رَبِّ نَجِّني وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(١٦٨) [الشُّعْرَاءُ: ١٦٩]؛ فأجابه ربه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ وَأَجْمَعِينَ﴾^(١٧٠) [الشُّعْرَاءُ: ١٧٠]. أي: أهل بيته، والمتبعين له على دينه بإخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم. إلا امرأته أصابها حَجْرٌ في الطريق؛ فأهلكها؛ لأنها كانت مائلة إلى القوم، راضية بفعلهم^(٢).

وهذا التهديد بالإخراج من القرية «حال أهل الفجور؛ إذا كان بينهم من ينهاتهم؛ طلبوا نفيه، وإخراجه، وقد عاقب الله أهل الفاحشة اللوطية بما أرادوا أن يقصدوا به أهل التقوى؛ حيث أمر بنفي الزاني، ونفي المخنث؛ فمضت سنة رسول الله ﷺ بنفي هذا وهذا، وهو سبحانه أخرج المتقين من بينهم عند نزول العذاب»^(٣).

(٢) حظ قوم لوط عليه السلام من اسم الله العزيز:

استأصلهم الله العزيز بالخسف، وإمطار الحجارة عليهم.

(٣) حظ قوم لوط عليه السلام من اسم الله الرحيم:

- أرسل لهم رسولا ينصحهم، ويُبْعِضُ لهم ما يفعلون من الفاحشة.

- أمهلهم، ولم يعاجلهم بالعقوبة.

- لم يقطع عنهم أرزاقهم، وإمداده لهم.

ومضت قصة لوط عليه السلام، وبقيت في كتاب الله تُتلى على مسامع المؤمنين، وفيها

العبرة والعظمة إلى يوم الدين، وبقِي حكم الله فيهم بالرجم بالحجارة.

(١) رواه الترمذي في السنن برقم (٣١١٦) من طريق الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو به، ورواه عن طريق عبدة وَعَبْدِ الرَّحِيمِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو ونحو حديث الفضل بن موسى، وقال الترمذي: "وهذا - أي الطريق الثاني - أصح من رواية الفضل بن موسى وهذا حديث حسن".

(٢) تفسير البيضاوي: (١٤٨/٤).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٣٣٤ / ١٥).

القصة السابعة: قصة شعيب عليه السلام.

أصحاب الأيكة:

«هم أهل مدين على الصحيح، وكان نبي الله شعيب عليه السلام من أنفسهم، وإنما لم يقل هنا أخوهم شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة. وقيل: شجر ملتف كالغيضة، كانوا يعبدونها.

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة "شعيب"، من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة، عن أبيه، عن معاوية بن هشام، عن هشام بن سعد، عن سعيد بن أبي هلال، عن ربيعة بن سيف، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان، بعث الله إليهما شعيباً النبي، عليه السلام»^(١)، وهذا غريب، وفي رفعه نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً.

والصحيح أنهم أمة واحدة، وصفوا في كل مقام بشيء؛ ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان، كما في قصة مدين سواء بسواء؛ فدل ذلك على أنهم أمة واحدة»^(٢).

مشاهدة قوم شعيب عليه السلام لقريش:

التطفيف، وبخس الناس حقوقهم.

والتطفيف: البخس في المكيال والميزان، إما بالازدياد إن اقتضى من الناس، وإما بالنقصان إن قضاهم، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝۱ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝۲ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝۳﴾ [المطففين: ١-٣]، هذا التطفيف كان يزاوله الكبراء؛ الذين كانوا في الوقت ذاته هم أصحاب التجارات الواسعة، التي تكاد تكون احتكاراً؛ فقد كانت هنالك أموال ضخمة في أيدي هؤلاء الكبراء، يتجرون بها عن طريق القوافل في رحلتي الشتاء والصيف إلى اليمن وإلى الشام؛ فحذّرهم

(١) انظر: مختصر تاريخ دمشق، (١٠/٣٠٩).

(٢) تفسير ابن كثير: ت: سلامة: (٦/١٥٨).

الله بعاقبة من فعل هذا الفعل وهم قوم شعيب عليه السلام، حتى لا يصيبهم ما أصابهم من عذاب.

وبخس الناس أشياءهم -فوق أنه ظلم- يشيع في نفوس الناس مشاعر سيئة من الألم أو الحقد، أو اليأس من العدل، والخير، وحسن التقدير، وكلها مشاعر تفسد جو الحياة والتعامل والروابط الاجتماعية والنفوس والضائير، ولا تبقي على شيء صالح في الحياة.

وهذا الخلق من الكبر الذي حذر منه النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم بسنده، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ»^(١).

وقوله: «الكبر بطر الحق» التكبر عن الإقرار به، والطغيان في دفعه.

«وغمط الناس: الاحتقار لهم، والإزراء بهم»^(٢).

والتطفييف الذي نهى الله قوم شعيب عنه؛ كان منبئاً فيهم عن إثم احتقار الحقوق؛ وذلك قد صار خلقاً لهم؛ حتى تخلقوا بمكابرة دعاة الحق.

الآيات [الشعراء: ١٧٥-١٩١]:

حاصل ما أمر به شعيب ﷺ قومه، بعد الأمر بالتوحيد ينحصر في ثلاثة أصول هي:

١. حفظ حقوق المعاملة المالية.

٢. وحفظ نظام الأمة ومصالحها.

٣. وحفظ حقوق حرية الهداية.

وما جاء في هذا التشريع هو أصل من أصول رواج المعاملة بين الأمة؛ لأن المعاملات تعتمد الثقة المتبادلة بين الأمة؛ وإنما تحصل بشيوع الأمانة فيها، فإذا

(١) صحيح مسلم: باب تحريم الكبر وبيانها (٩١).

(٢) مختار الصحاح، أبو عبد الله الرازي: (٣٢٣/١).

حصل ذلك؛ نشط الناس للتعامل فالمنتج يزداد إنتاجا وعرضا في الأسواق، والطالب من تاجر أو مستهلك يقبل على الأسواق آمنا لا يخشى غبنا ولا خديعة ولا خلافة؛ فتتوفر السلع في الأمة، وتستغني عن اجتلاب أقاتها وحاجياتها وتحسيناتها، فيقوم نماء المدينة والحضارة على أساس متين، ويعيش الناس في رخاء وتحاب وتآخ، وبضد ذلك يحتل حال الأمة بمقدار تفشي ضد ذلك^(١).

(١) حظ شعيب من اسم الله العزيز:

تأمل قولهم: ﴿يَشْعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾^(٩١) قَالَ يَقَوْمُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ [هُود: ٩١ - ٩٢].

اعتزاز شعيب عليه السلام بالله جل جلاله لا برهطه، وغضبه لجلال الله جل جلاله:

﴿يَقَوْمُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾^(٩٢) الاستفهام إنكاري، أي الله أعز من رهطي، وهو كناية عن اعتزازه بالله لا برهطه؛ فلا يريه عدم عزة رهطه عليهم، وهذا تهديد لهم بأن الله ناصره؛ لأنه أرسله؛ فعزته بعزة مرسله^(٢).

إنها غضبة العبد المؤمن لربه أن يستباح جلاله - سبحانه - ووقاره. الغضبة التي لا يقوم إلى جوارها شيء من الاعتزاز بنسبه، ورهطه، وعشيرته، وقومه.

(٢) حظ قوم شعيب عليهم السلام من اسم الله العزيز:

قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١٨) [الشعراء: ١٨٩].
الله العزيز وجل جلاله جعل عقوبتهم أن أصابهم حر شديد جدًا مدة سبعة أيام لا يَكْنُهم منه شيء، ثم أقبلت إليهم سحابة أظلمتهم؛ فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلها من الحر، فلما اجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شرًا من نار،

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور: (٨-ب/٢٤٣).

(٢) المرجع السابق: (١٢/١٥١).

ولهباً ووهجا عظيماً، ورجفت بهم الأرض، وجاءتهم صيحة عظيمة
أزهقت أرواحهم^(١).

(٣) حظ شعيب عليه السلام من اسم الله الرحيم:

ثبته الله ﷻ وحفظه، ورعاه، ثم نجّاه ﷻ والمؤمنين معه من العذاب
الذي نزل بقومه.

(٤) حظ قوم شعيب عليه السلام من اسم الله الرحيم:

- أرسل لهم رسوله شعيب، ليبين لهم الحجة البالغة، وينصح لهم
النصيحة الخالصة.
 - أمهلهم، ولم يعاجلهم بالعقوبة.
 - أغدق عليهم الأرزاق بالرغم من كفرهم وعتوهم.
- مضت قصة شعيب عليه السلام مع قومه وفيها مسألة التنازع بين رجال المال، ورجال
الإصلاح في حرية الكسب المطلقة، وتقييد الكسب بالحلال، ومراعاة الفضيلة^(٢).
- خاتمة سورة الشعراء:

القصص في السورة دلالة على صدق رسالة الرسول ﷺ.

الآيات [الشعراء: ١٩٣-٢٢٧]:

لما كانت آثار هذه القصص آيات مرثيات، والإخبار بها آيات مسموعات، وكان
في اطراد إهلاك العاصي، وإنجاء الطائع في كل منهما، على تباعد الأعصار، وتناهي
الآقطار، واختلاف الديار، أعظم دليل على صدق الرُّسل، وتقدير الرسالات؛
لتوافقهم في الدعوة إلى الله، وتواردتهم على التوحيد، والعدل، مع العزوف عن
الدنيا التي هي شر محض، والإقبال على الآخرة التي هي خير صرف، والتحلي بما

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، ت: سلامة: (٦/١٦١).

(٢) ينظر: تفسير المنار، رشيد رضا: (١٢/٢٠٠).

أطبق العباد على أنه معالي الأخلاق، ومحاسن الأعمال، والتخلي عن جميع الدنيا، والتنزه عن كل نقص؛ عطف على قوله أول السورة ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ﴾ [الشعراء: ٥]، الإخبار برسالة محمد ﷺ، إشارة إلى ما في الإخبار عن آثار هذه القصص بالآيات المسموعات من عظيم الدلالات على رسالته ﷺ؛ فقال رداً للمقطع على المطلع: ﴿إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:
(١) حظ الفريقين من اسمه (رب):

وصفه سبحانه برؤية العالمين؛ للإيدان بأن تنزيهه من أحكام تربيته ﷺ ورأفته بالكل (١).

(٢) حظ رسول الله ﷺ من الاسمين الكريمين:

ثَبَّتَ اللهُ ﷻ العزيز الرحيم جأش رسوله ﷺ بأن لا يعبأ بأعدائه، وأن يتوكل على ربه؛ فهو كافيه.

وأمره الله تعالى بالتوكل عليه في كل أمره، ثم جاء بالصفات التي تُؤنس المتوكل، وهي العزة والرحمة المذكورتان في أواخر قصص الأمم المذكورة في هذه السورة، وضمنها نصر كل نبي على الكفرة، والتهمم بأمره، والنظر إليه (٢). فهو الذي: الذي يقهر أعدائك بعزته، وينصرك عليهم برحمته، ويعلي كلمتك، ويحفظك، ويكفك شر من يعصيك منهم، ومن غيرهم.

ثم يُشعر قلب الرسول ﷺ بالأنس والقربى؛ فربه يراه في قيامه وحده للصلاة، ويراه في صفوف الجماعة الساجدة. يراه في وحدته، ويراه في جماعة المصلين؛ يتعهدهم، وينظمهم، ويؤمهم، ويتنقل بينهم. يرى حركاته وسكناته، ويسمع

(١) روح المعاني، للألوسي: (١١٨/١٠).

(٢) المحرر الوجيز، لابن عطية: (٢٤٦/٤).

خطراته ودعوته: ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾، وفي التعبير على هذا النحو؛ إيناس بالرعاية، والقرب، والملاحظة، والعناية. وهكذا كان رسول الله ﷺ يشعر أنه في كنف ربه، وفي جواره وقربه، وفي جو هذا الأُنس العلوي كان يعيش.

وأنت أيها المتأمل في كتاب الله المجيد؛ «إذا أمعنت النظر فيما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة؛ وجدته نازلاً تسليّةً لقلب الحبيب ﷺ من تكذيب القوم إياه، والطعن فيما أنزل إليه والاستهزاء به، ألا ترى كيف ذيل كل قصة من القصص المذكورة فيها بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾، وجعل كالتخلص إلى قصة أخرى، وكالمهتم بشأنه، فيرجع إليه؛ إذا وجد له مجالاً، يعني: لا تتحسر على إصرارهم على الكفر، وتكذيبهم ما أنزلنا عليك، إن ربك عزيز ينتقم منهم، ويرحمك بأن يقدر لك من يؤمن بك؛ إن لم يؤمن هؤلاء. ومن ثم قرن معه، وقدم عليه كل مرة قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾، وإليه الإشارة بقوله: «هو العزيز في انتقامه من الكفرة، الرحيم لمن تاب وأحسن. يعني: لك التأسى بربك مع كبريائه وجلاله، وبالأنبياء عليهم السلام السالفة؛ ولذلك بدأ سبحانه وتعالى بأمر نفسه، وذكر أنه تعالى أنزل عليهم دليل السمع؛ فأعرضوا وكذبوا واستهزأوا، ونصب لهم الدلائل الظاهرة، وأراهم آياتٍ يفتح بها أعينهم: من إنبات كل صنّفٍ بهيج، وما التفتوا ولا رفعوا له رأساً، ثم فصل ذلك بتلك الفاصلة، وقرنها بتلك القرينة، وثنى بقصة موسى عليه السلام، وختمها أيضاً بتلك الفاصلة والقرينة، وثالث بقصة الخليل عليه السلام وختمها بها، وهلمَّ جرّاً إلى آخر السورة.

فانظر - أيها المتأمل إلى رفعة منزلة سيدنا محمد ﷺ، ونباهة قدره، كأنه التنزيل بجملته نازلٌ لتسكين بادرته، وتسلي حزنه، وتثبيت خلدته، ورباطة جأشه، وتهذيب أخلاقه، وإرشاد أمته، مع مراعاة ألفاظ التلويح، والتعريض، والرمز، كالمناخاة بين المتحابين»^(١).

(١) انظر: حاشية الطيبي على الكشاف: (١١/٣١٩).

الخيطة الناظم بين مقدمة السورة وقصصها وخاتمتها:

المتأمل في السورة يجد أن الخيطة الناظم لمقدمتها وقصصها وخاتمتها: هي اتفاق الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم بقول كل نبي لقومه ﴿فَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ﴾، أي: اعبدوا ربكم، وأطيعوا رسولكم، وقد ذُكِرَت هذه الآية في كل قصة من قصص السورة، وقائلوها ودعاتها لا يطلبون أجرًا على الهدى؛ فأجرهم على رب العالمين.

وكان موقف الأقوام ردهم للحق الذي جاءت به الرُّسُل، واحتقارهم للناس ولحقوقهم، بسبب كبرهم وعتوهم؛ فأهلكهم الله بعزته؛ لأنهم أحدثوا خللاً في قوانين نظام الحياة التي سنَّها الله ﷻ لعباده على وجه الأرض، وهذا نزاع لله في ملكه وعِزِّه وسلطانه؛ لذا غار الله ﷻ على سلطانه، وأظهر لنا في هذه السورة آثاراً لعِزِّته، وقدرته وسطوته، وآثاراً لرحمته بعدم معاجلته للأقوام بالهلاك، بل أرسل إليهم الرسل؛ لينذروا أقوامهم عاقبة فسادهم، وترغيبهم في آثار امتثالهم لربهم.

وفي مقابل ذلك أعز الله ﷻ من امتثل أمره، واستجاب لرسوله، ونصرهم، وبرحمته نجاهم من بين أيدي الكافرين، ورفع شأنهم، وأورثهم الأرض؛ ليقيموا سلطان الله ﷻ القائم على العدل، وهذه سنة الله في الرسل وأقوامهم على مدار تاريخ الدعوة.



الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني لإعداد هذا البحث، ونسأل الله القبول الحسن.

وكانت أهم النتائج والتوصيات:

- ١- القرآن الكريم عرّف العباد بآثار أسماء الله الحسنى على مستوى السورة القرآنية، وعلى مستوى القرآن كله؛ ليعرفوه وليعبدوه.
- ٢- كل سورة لها أسلوبها الخاص الشيق الذي يتناسب مع طبيعة النفس البشرية في عرض أسماء الله الحسنى.
- ٣- كل سورة وخاصة الطويلة منها تحتوي على مقدمة، ومقاصد، وخاتمة، يبينهن تأخ وتعاقد، وتلاحم في صورة من التناسق والتناسب مبهر.
- ٤- أظهرت لنا سورة الشعراء أسماء الله ﷻ المقترنة المكررة (العزيز الرحيم)؛ ليستبصر به المتدبر روح السورة المهيمن عليها.
- ٥- ظهر من خلال الدراسة التطبيقية لسورة الشعراء تناسق مقاصد السورة مع بعضها في عقد واحد مُبهر.
- ٦- ظهر من خلال قصص السورة الخيط الناظم بينها بصورة محكمة.

التوصيات:

أوصي الباحثين وأقسام القرآن وعلومه بما يلي:

- ١- القيام بدراسات علمية في بيان (بناء السورة القرآنية على آثار أسماء الله المقترنة المكررة في السورة) مثل سورة البقرة، وسورة يونس، وسورة مريم، وسورة المجادلة.
- ٢- القيام بدراسات علمية في بيان (بناء السورة القرآنية على أسماء افتتحت بها السورة القرآنية وآثارها على مستوى السورة كلها) مثل سورة غافر، وسورة الجمعة.

- ٣- القيام بدراسة علمية في بيان (بناء السورة القرآنية على آثار أسماء الله التي ذُكرت في المطلع والمقطع) مثل سورة الحشر.
- ٤- أن يتبنى أحد مراكز الدراسات القرآنية إعداد موسوعة (التفسير البنائي للقرآن الكريم على آثار أسماء الله الحسنى).



فهرس المصادر المراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
٢. الأدب المفرد، المؤلف، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الثالثة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م.
٣. اشتقاق أسماء الله، الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي، أبو القاسم، المحقق: د. عبد الحسين المبارك، الطبعة: الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٤. أصول الدعوة، زيدان، عبد الكريم، الطبعة: التاسعة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، د.ط، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٦. بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، المحقق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة: الأولى، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٥هـ.
٧. بديع القرآن، ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر، تحقيق: حفني محمد شرف، د.ط، القاهرة، نهضة مصر، د.ت.
٨. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، د.ت.
٩. تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، تقديم وتحقيق: د.ت.

- الدكتور حفني محمد شرف، د.ط، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ت.
١٠. التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، د. ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
١١. تفسير أبي السعود «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
١٢. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
١٣. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن، المحقق: أسعد محمد الطيب، الطبعة: الثالثة، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ.
١٤. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة: الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٥. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، د.ط، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.
١٦. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٧. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الطبعة: الأولى، القاهرة، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٨. تيسير الكرمي الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، الطبعة: الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٩. جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط (١)، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ.
٢١. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط (٢)، القاهرة، دار الكتب المصرية، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).
٢٢. الحق الواضح المبين في شرح توحيد الانبياء والمرسلين من الكافية الشافية تأليف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الطبعة الثانية، الرياض، دار ابن القيم، ١٤٠٧هـ.
٢٣. سنن ابن ماجه، ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القرويني، وماجة اسم أبيه يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، د. ت.
٢٤. سنن أبي داود، المؤلف، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ط، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، د. ت.
٢٥. شرح حديث النزول، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي الطبعة: الخامسة، بيروت، لبنان، المكتبة الإسلامي، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٢٦. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، د.ط، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
٢٧. الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعظلة، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، د.ط، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار العاصمة، د.ت.
٢٨. العبودية، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد زهير الشاويش، الطبعة السابعة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٢٩. الفوائد، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
٣٠. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، سلطان العلماء، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، راجعه وعلق عليه: طه عبدالرؤوف سعد، د.ط، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤١٤هـ-١٩٩١م.
٣١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (١٤٠٧هـ)، ط (٣)، بيروت، دار الكتاب العربي.
٣٢. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريني أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، د.ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، (د.ت).
٣٣. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، ط (٣)، بيروت دار صادر، (١٤١٤هـ).
٣٤. متن القصيدة النونية (الكافية الشافية)، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الطبعة: الثانية، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ.

٣٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط (١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٢٢هـ).

٣٦. مختار الصحاح، الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الطبعة: الخامسة، بيروت - صيدا، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٣٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط (٣)، بيروت، دار الكتاب العربي، (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

٣٨. المستدرک علی الصحیحین، ابن البیع، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١ - ١٩٩٠م.

٣٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، القاهرة، دار الحديث، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٤٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٤١. مشكاة المصابيح، التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الثالثة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٥م.

٤٢. مصاعد النظر للإشراق على مقاصد السور، ويسمى: "المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الطبعة: الأولى، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٤٣. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة: الأولى، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٤٤. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، الطبعة: الأولى، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٤٥. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، د. ط، بيروت، دار الفكر، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
٤٦. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (د. ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ت).
٤٧. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط (١)، بيروت، دار القلم، (١٤١٢هـ).
٤٨. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، الطبعة: الثالثة، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. ت.
٤٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، الطبعة: الثانية، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢م.
٥٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، د. ط، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، (د. ت).
٥١. الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، تحقيق: سيد إبراهيم، الطبعة: الثالثة، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٩م.



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢٩٧	الملخص
٢٩٨	المقدمة
٢٩٩	الدراسات السابقة
٣٠١	هيكل البحث
٣٠٣	المبحث الأول: الدراسة التأصيلية
٣٠٣	المطلب الأول: وحدة بناء السورة
٣٠٤	المطلب الثاني: مقاصد تدبر آثار أسماء الله الحسنى وصفاته العُليا
٣٠٧	المطلب الثالث: منهج البحث في فقه أسماء الله الحسنى في ضوء النظم الكلي للسورة
٣١٠	المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية
	الخطوات المنهجية لتناول (فقه أسماء الله الحسنى في ضوء النظم الكلي لسورة الشعراء)
٣١٠	الخطوة الأولى: التعريف بسورة الشعراء
٣١٢	الخطوة الثانية: استقراء اسمي الله ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾
٣١٥	الخطوة الثالثة: التعرف على المقصد الأساسي للسورة
٣١٦	الخطوة الرابعة: تقسيم السورة إلى مقاصد
٣١٧	المطلب الأول: بيان عظمة القرآن الكريم
٣٢٠	المطلب الثاني: تسلية النبي ﷺ من خلال ذكر قصص الرسل عليهم السلام
٣٤٨	الخاتمة
٣٥٠	فهرس المصادر والمراجع
٣٥٦	فهرس الموضوعات

